الفصل الثاني
الكلمات

أولاً- في حب الصحابة

مصعب بن عمير.. فاتح المدينة
تحليل ودروس
سلمان الفارسي.. المغامر
تحليل ودروس
حذيفة بن اليمان.. الخبير
تحليل ودروس
أبو عبيدة بن الجراح.. أمين أمة محمد
تحليل ودروس
سعد بن أبي وقاص.. القناص
تحليل ودروس
قيس بن سعد.. الداهية
تحليل ودروس

ثانياً- تزكية النفس والرقائق

أحلام الجنة.. أرض المؤمنين
حي على الصلاة
القرآن.. يغير
محاكمة القبر
الإخلاص
الآن نتوب
الموت
اذكر الله
دروس من الصيام
الحقد
الحسد

ثالثاً- الأخلاق

آداب الاستئذان
آداب الحديث مع الغير
آداب الطريق
آداب المجالس
اختيار الأصدقاء
الشتائم والسخرية
بر الوالدين
غض البصر
تربية النفس على الإيثار والتضحية

رابعاً- موضوعات فكرية

لماذا نعيش؟
الطلبة والأجازة
رمضان فرصة للتغيير
شمولية الإسلام
الاختلاط
الإسلام والجنس
المؤامرة على الشباب المسلم
الغزو الفكري
العلاقة بالجنس بالآخر
التغيرات النفسية للمراهق
كيف يراعى المراهق النمو الانفعالي
تربية النفس على الإيثار والتضحية
رعاية العقل وتنمية المواهب
الثقة بالنفس والفكاهة والمرح
الرسول والممازحة (مقال من الإنترنت)

obeikandl.com

أولاً - في حب الصحابة

رحلة في حياة الصحابة بأسلوب شيق بسيط مع تحليل عصري
للأحداث واستنباط دروس واقعية

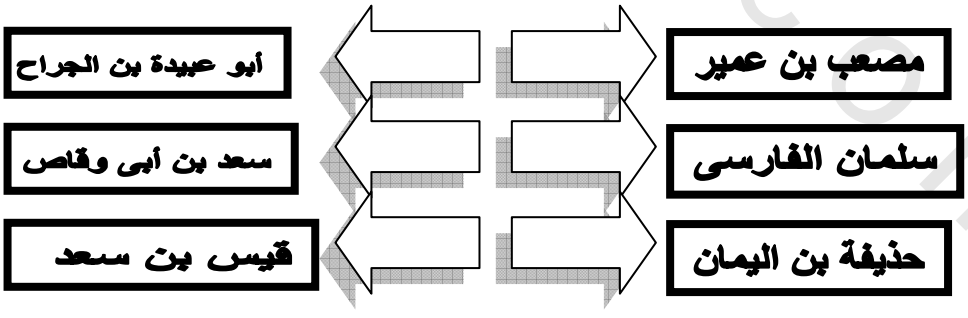

obeikandl.com

فاتح المدينة
عن قصة
مصعب بن عمير

(هل لديك الجديد من العطور؟)

نطق بها الشاب الأنيق بابتسامة تملأ وجهه كلـه أمـام صـاحب أفخـر محـال العطـور في مكة.. الذي ما لبث أن رحب به بحفاوة بالغة قائلاً وهو يشد على يديه بابتـسامة عريـضة لا تخرج إلا لكبار العملاء:

دائماً لدينا الجديد يا سيدى..ولدينا فقط.

ثم أشار إلى أحد عماله الذي هرول إليه قائلاً:

اذهب وأحضر مجموعة العطور الفارسية والرومية التي وردت لنا بالأمس.. بسرعة.

قال العامل وهو ينحني انحناءة استجابة للأمر:

أمرك سيدي.

التفت التاجر للشاب وقد أكسبه عمله بالتجارة فراسة نادرة وهو يقول:

أنا أوليك عناية خاصة، ولكنى هذه الأيام بالذات أوليك عناية مضاعفة.

قال الشاب متسائلاً بعد أن تملكته ثوان من التفكير:

هذه الأيام بالذات؟!.. ولماذا هذه الأيام بالذات؟!.

قال التاجر:

كل عميل لدى له سمته الخاص الذي أعرفه جيداً..وأي تغير عليه لابد أن ألاحظه.

قال الشاب ولا تزال تسيطر عليه حالة من التفكير:

وما الذي طرأ على مجدداً يا ترى..

- (العطور سيدى)

نطق بها العامل وهو يضعها أمام التاجر الذي ما لبث يعرضها على الـشاب في حرفيـة بالغة جعلته ينجح في أن يبيع له ثلاثاً من أغلى أنواع العطور، دفع ثمنهـا دون تـردد شـاكراً التاجر منصرفاً بعدها بطريقة بدا وكأنه يريد التخلص بها من هذا الموقف.

وسار الشاب في الطريق إلى منزله وهو يشعر أن التاجر يلاحقـه بنظراتـه، وقـد تملكتـه حالة من الحيرة والتفكير جعلته لا يشعر بالطريق.

obeikandi.com

ماذا كان يقصد هذا التاجر بهذه الأيام بالذات، وما هو التغير الذي طرأ على ليلاحظه التاجر بهذه السهولة.

يا الله..أيكون قد سمع شيئاً عما حدث.. أيكون قد انكشف سرى.. وبهذه السرعة، رغم كل ما اتخذته من إجراءات احتياطية..أم أن ما قاله الرجل كان شيئاً عابراً لا يستحق كل هذا الاهتمام وهذه الحيرة.

نعم..إنها مجرد جملة حاول بها التاجر أن يشعرني باهتمامه كحيلة كل التجار لجذب عملائهم إليهم..

ثم أخذ نفساً عميقاً وكأنه قد فك قيداً كان على رقبته قائلاً:

نعم هكذا الأمر ولا شيء غيره.. على أن أنسى الموقف تماماً ولا أهتز بهذه الصورة أمام كلمة من هذا أو تلميح من ذاك، واحذر أن يظهر عليك شيء أمام أمك فمكة كلها لا يهمك أمرها مثلها.

وما إن كاد ينهى الشاب حواره مع نفسه ويرسم ملامح مطمئنة على وجهه حتى وصل إلى باب منزله الفاخر حيث طرقه قبل أن يسمع صوت الخادمة:

- من بالباب؟

- مصعب

دخل مصعب ليجد مشهداً غريبا لم يعتده إلا في أوقات الشدائد والأزمات،فقد وجد في حجرة الاستقبال أعمامه وأخواله ينظرون إليه نظرة ملؤها الدهشة واللوم،إلا أن نظراتهم جميعاً لم تكن لتخيفه مثلما أخافته نظرة أمه (خناس بنت مالك)

فلقد كانت نظرة حادة وقاسية.. فهم منها مصعب أن أمره قد انكشف..لا محالة.

لقد بدأت رحلة الصراع..الذي حاول مصعب أن يتفاداه..

إلا أنه بدا رغماً عنه.

وبلا رجعة.

*****

(أين كنت يا مصعب؟)

نطقت بها أم مصعب في عصبية بالغة يكاد يتطاير معها الشرر من عينيها التي أخذت تحدق في عيني مصعب وقد فاجأه السؤال بصورة جعلته يجيب في تردد:

أي شيء حدث يا أماه، كنت أشترى بعض زجاجات العطر كعادتي..وها هي في يدي.. ألا ترينها؟

قالت الأم بخبث:

أراها بالطبع، ولكنى أرى أن الوقت الذي استغرقته بالخارج كان أكبر بكثير من مجرد شراء بعض زجاجات العطر.

ابتسم مصعب وهو يحاول أن يدفع عن نفسه تهمة لم يتهمه بها أحد بعد قائلاً:

بالفعل يا أماه... فلقد كنت أجلس مع أصدقائي كما اعتدت ولقد أخذنا الحديث بعض الوقت.

قالت الأم في سخرية:

أعتقد أن محمداً أكبر منك سناً بكثير كي يكون من أصدقائك.. أليس كذلك.

اضطرب مصعب وهو يقول:

محمد.. من محمد؟

قالت الأم في تحد:

محمد الذي جعلك تكذب على أمك.. وهو ما لم تفعله في حياتك.

ازداد اضطراب مصعب وهو يقول:

أنا لم أكذب عليك يا أماه...أنا بالفعل كنت...

قاطعته أمه وقد ارتفع صوتها فجأة وهى تقذف بالكلمات في وجه مصعب قائلة:

كنت مع محمد ورجاله ممن اتبعوه في دار الأرقم،جاءني عثمان بن طلحة بالأمس وأخبرني أنه رآك وأنت ترتاد ذلك المكان لتحضر اجتماعات محمد، ليس هذا فقط بل رآك وأنت تصلى صلاة محمد...

عندها هب أحد أعمامه ثائراً في وجهه: أي جنون أصابك يا ولد..

واندفع بعدها خاله يلومه ويوبخه..

واندفع الجميع يحاصروه ويضغطون عليه ضغطاً هائلاً لم يعتده أبداً في حياته وهو الشاب المرفه المدلل المنعم المطاع الذي طالما عاش حياة هانئة هادئة مستكينة مطمئنة...

و..

كفى..

obeikandl.com

انفجر بها مصعب في تحد واضح ليضع نهاية لهذا الموقف السخيف وتابع:

نعم أسلمت..آمنت بمحمد، سمعت ما قال وفكرت واقتنعت،وأجد نفسي سعيداً بما فعلت مرتاحاً لما أقدمت عليه من قرار أدرك تماماً مدى صعوبته وخطورته،ولست متعجباً من موقفكم الآن، لأنكم لم تسمعوا ما سمعت من محمد ولم تشعروا بما شعرت و....

وبدأ مصعب يتلو بعض آيات من القرآن الكريم، لعل القلوب ترق أو تفهم العقول أو تصمت الألسنة...

وكان ما تلاه مصعب-بلا شك- شيئا جديدا مؤثراً بل مبهراً، ولربما تأثر به البعض، ولكن..

إنها أمه.. ذات الشخصية القوية المهابة.. لم تتأثر..ولم يرق قلبها حتى على ابنها،

بل وأصرت على معاقبته وأذاه..

نعم.. أذاه.. ستحرمه من النعيم الذي اعتاد عليه طوال حياته..

ستمنع عنه رفاهية طالما حسدها عليه كل أهل مكة..

ستحبسه في غرفة في أقصى الدار..وستضع عليه حراسة مشددة..لا شك أنه لن يتحمل فمن ذاق النعيم طيلة حياته، من الصعب عليه بل من المستحيل أن يتحمل أسبوعاً من التقشف، دع محمد ينفعه..

هكذا قالت أمه لنفسها..وهكذا راهنت على قدرة مصعب (المدلل) على تحمل شظف العيش..

بالتأكيد أخطأت أم مصعب في تقديراتها..

ولها العذر في ذلك، فهي لم تعرف الإسلام من قبل ولم تذق طعم الإيمان قط..

إنها لم تعرف ماذا يفعل الإيمان بالنفوس وكيف يغير الطباع ويقوى الإرادة ويشحذ العزيمة وينمى الإصرار ويصنع التحدي..

لها العذر في ذلك، فهي لم تعرف الحقيقة التي أدركها مصعب ورفاقه، حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة وحقيقة الحياة..

لكنها مع الوقت بدأت تدرك..

لم يستسلم مصعب كما توقعت ولم ينهار كما راهنت، بل اشتد عوده وقويت شكيمته وتطلع إلى تحد أكبر وأكبر..

إنها الهجرة...

نعم.. الهجرة إلى الحبشة..

*****

في العام الخامس من البعثة، نجح أحد الصحابة أن يخبر مصعباً بأن الرسول ﷺ، قد أمر المسلمين بالهجرة إلى الحبشة بعد أن اشتد الإيذاء بصورة لا تحتمل، وأنه قد اختار مصعباً من بين اثنى عشر رجلاً سيهاجرون إلى الحبشة.

ولم يكن لمصعب (الجديد) أن يتأخر أو يتوانى عن أمر رسول الله...

ولكن..كيف له أن يفلت من هذا الحصار الرهيب..كيف يغافل الحراس ويتسلل خارج المنزل ليلحق بالمهاجرين؟

فكر مصعب كثيراً ودعا الله أن يهديه لخير حيلة..

وهداه الله للحيلة وغافل حارسيه ونجح في التسلل خارج المنزل والتقى بأصحابه الذين كانوا على موعد مع الهجرة إلى الحبشة حيث النجاشي العادل.

وكم كانت الرحلة طويلة وشاقة..

وكم كان الأمر لا يخلو من الخطورة والمغامرة

في كل لحظة كان مصعب مهدداً بالقبض عليه..

لكن مصعباً كان محتاطاً لذلك.. كما كان مصمماً على إتمام الرحلة الشاقة، حتى ولو كانت سفراً طويلاً من قارة آسيا إلى جنوب قارة أفريقيا.

لم يشغل باله عظم الجهد والمشقة..كان الذي يشغله أمراً واحداً فقط..كيف ينفذ أمر حبيبه رسول الله..كيف ينجح في المهمة ليرضى رسول الله.

وعن طريق البحر الأحمر،وبسفينتين سخرهما الله له ولأصحابه، وصلوا سالمين قبل أن ترصدهم عيون قريش.

لكن شائعة انتشرت بينهم وهم على أرض الحبشة جعلتهم يقررون العودة..

(لقد أسلمت قريش)

ياه..أسلمت قريش.. كان الخبر مفرحاً إلى الدرجة التي لم تجعلهم ينتظرون أمر الرسول بالهجرة..

فعادوا دون تفكير ودون أمر.

وعاد مصعب وأصحابه إلى مكة..ففوجئوا بذهول الصحابة..وتيقنوا أن الخبر لم يكن صحيحاً..

وعاد مصعب إلى الحبشة مرة أخرى..

هجرة مرة أخرى..ومشقة مرة أخرى..وجهاد مرة أخرى.

وكيف لا..

وهو مصعب الجديد الذي غيره الإيمان فجعل رفاهيته أن يتحمل المشقة في سبيل الله، وجعل راحته أن يبذل الجهد في سبيل الله وجعل عزه في أن ينفذ أمر رسول الله.

لقد تغير مصعب كثيراً..تغيراً أذهل الصحابة عندما دخل عليهم وهم يجلسون حول رسول الله في إحدى دروس العلم في دار الأرقم،وهو يرتدى جلبابا بالياً مرقعاً، فما أن رأوه حتى حني البعض رأسه وغض البعض الآخر بصره، وزاد التأثر بآخرين..

فبكوا.. وذرفت الدموع من عيونهم..ودارت الأفكار في رؤوسهم.

أهذا هو مصعب الذي كان يرتدى أفخر الثياب وآخر موديلاتها .. أهذا هو مصعب الذي كان يغير ثوبه في اليوم مرتين أو ثلاث..

يا الله ..لقد تنازل مصعب عن نعيم الدنيا من أجل الآخرة..تنازلاً لا رجعة فيه..واختار اختياراً لا بديل عنه..الآخرة خير وأبقى.

وبنفس الإصرار الذي واجه به ثورة أمه في الماضي، واجهها مرة أخرى حين دعته ثانية لترك دينه وإلا عاودت حبسه مرة أخرى.فأظهر إصراراً وتحدياً فاجأ به أمه إلى حد التهديد بقتل كل من ستستعين بهم على حبسه.

ورغم كل القسوة التي واجهته بها أمه..كان هو حانياً عليها رحيماً بها.وظل يدعوها قبل أن يغادرها إلى دين الله..

(يا أماه..إني لك ناصح وعليك مشفق)

ولكن قسوة أمه كانت أشد من رحمة ابنها وخوفه عليها..

وودعها باكيا..وودعته باكية..في لحظات ظلت شاهدة على موقفين متناقضين..

إصرار على الكفر..وإصرار على الإيمان.

وإلى جانب شخصية مصعب المضحى المجاهد،كانت قد أثرت تربية والديه فيه فأصبح ذا ذكاء ولباقة وحسن خلق، وهو ما شجع الرسول ﷺ لكي يختاره داعية للإسلام في المدينة بعد بيعة العقبة الأولى، وفضله بذلك على من هم أكبر منه سناً وأكثر وجاهة.

وهناك أثبت مصعب كفاءته وقدرته وعبقريته الدعوية.

*****

openkanal.com

(ما جاء بكما إلى حينا تسفهان ضعفاءنا..اعتزلانا إن كنتما لا تريدان الخروج من الحياة)

صرخ بها (أسيد بن حضير) سيد قبيلة بني عبد الأشهل في المدينة، في غضب وثورة وهو يشهر حربته في وجه مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة الذي نزل في ضيافته،عندما كانا يقفان مع أناس يدعوهم مصعب إلى الإسلام.

وما إن رأى الناس الموقف حتى فزعوا وشعروا أن معركة ستحدث حتماً.

وعلى عكس المتوقع تماماً، قابل مصعب ثورة أسيد بهدوء شديد وابتسامة واثقة وحكمة بالغة قائلاً لأسيد:

(أو تجلس فتستمع؟ فإن رضيت أمرنا قبلته..وإن كرهته كففنا عنك ما تكره).

لا شك أن مصعب كان على دراية بشخصية أسيد بن حضير وطريقة تفكيره كيف وهو الذي دخل كل بيت من بيوت المدينة وهو ما هيأه ليحدث كل شخص حسب تفكيره وثقافته ومكانته بين أهله.

كان الرد حكيماً إلى أبعد حد..وفيه مغامرة إلى أبعد حد..

حكيما لأنه عرض عرضاً لا يرفضه عاقل كأسيد، فما الضرر أن يستمع فإن اقتنع تركه وإن لم يقتنع ترك مصعب الحي والعشيرة إلى حي آخر وعشيرة أخرى.

ومغامرة لأن عدم اقتناع أسيد بدعوة مصعب وهو- احتمال وارد بالطبع – سيجعله يخسر دعوته في حي كامل.

ولربما يأخذ الخبث أسيداً فيصر على عدم اقتناعه بما يقول مصعب حتى وإن اقتنع، ويصبح لزاماً عليه الرحيل.

إلا إنه يبدو الإخلاص والحكمة وفن العرض والحوار،انتصر لمصعب..ولدعوة مصعب.

فما انتهى مصعب من حديثه حتى قال له أسيد:

ما أحسن هذا القول وأصدقه..كيف يصنع من يدخل في هذا الدين ؟

قال له مصعب:

يطهر ثوبه وبدنه، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وبلغت الحماسة بأسيد أن جعلته غاب عنهم دقائق ثم عاد إلى مصعب ومن معه يقطر الماء من شعر رأسه ويعلن أمام الجميع أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

obeikandl.com

أرأيت كم كان الرسول موفقاً في اختياره..لقد كسب مصعب الجولة ثم تبعتها جولات..

فما إن سرى الخبر في المدينة بإسلام أسيد حتى أسلم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة..بعدها أقبل أهل المدينة يتساءلون: إذا كان أسيد بن حضير وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة أسلموا..فلما لا نسلم إذن؟!

هيا بنا إلى مصعب...

لقد نجح السفير نجاحاً منقطع النظير..نجاحاً يستحقه مصعب ويستحقه الإسلام ويستحقه أهل المدينة.

وتمر الأيام.. ونجاح مصعب يزداد يوماً بعد يوم، وتزداد معه أعداد المسلمين..

ويهاجر الرسول وصحبه إلى المدينة، وتغلي قريش حقداً وضغينة، وتقوم غزوة بدر، وينتصر المسلمون في ميدان الحرب كما انتصروا من قبل في ميدان الدعوة.

وتأتى أحد..

ويأتي معها المشهد الأخير لسفير الإسلام مصعب بن عمير.

(أنت الذي ستحمل الراية يا مصعب)

نعم لقد اختار الرسول ﷺ مصعبا لحمل راية الإسلام داعية له في المدينة، واليوم يختاره لحمل راية الإسلام محارباً في أحد..

وتشتد المعركة..

وينتصر المسلمون في بادئ الأمر، ويغرى النصر جيش الرماة فيتركوا أماكنهم على جبل أحد ليحصدوا الغنائم..وينكشف ظهر المسلمين.

ويفاجأ المسلمون بجيش الداهية خالد بن الوليد ينزل عليهم من أعلى الجبل فيثير الذعر والفوضى بين صفوفهم.

وينظر مصعب فيجد الأمور قد انقلبت انقلابا رهيباً لا يصدقه عقل.

الهجوم شرس وقوى، والذعر ضرب النفوس في مقتل،وأصحابه وأصحاب رسول الله يتساقطون أمام عينيه..

والخطر يقترب ويقترب إلى أعز الناس وأحب الناس إلى قلبه..

إلى الرسول..

لقد أصبح الرسول مهدداً..فالكل يبحث عنه ليقتله..

obeikandl.com

وأدرك مصعب الموقف، فحمل الراية عالية وأخذ يزأر كالأسد بالتكبير ليرفع الروح المعنوية للمسلمين وأخذ يقاتل وحده بشراسة كأنه جيش كل همه أن يصرف النظر عن رسول الله... كان هدفه أن يخرج الرسول سالماً حتى لو أصابه ما أصابه..

ولقد أصاب مصعب الكثير والكثير..

لقد اتجه إليه أبو قميئة على فرسه فضرب يده اليمنى بسيفه فقطعت، فحمل الراية بيسراه فضربها فقطعت فحمل الراية بعضديه..فضربه قميئة برمحه..فوقع

وقع مصعب بن عمير..ووقعت الراية..

وتوقفت آخر كلماته..

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤].

ظل يرددها مع كل ضربة يتلقاها وظل المسلمون يرددونها وسيظلون إلى قيام الساعة..

فلقد نزل بها الوحي وأكملها قرآنا يتلى إلى يوم الدين.

وانتهت المعركة.. ليقف رسول الله ﷺ على جثة مصعب وقد غطى وجهه الجميل التراب وكأنه خاف أن يرى الرسول وقد أصابه سوء وهو جثة هامدة..

أو أنه قد خجل أنه قد قتل قبل أن يطمئن على رسول الله.

وقف الرسول على جثة مصعب..

ولقد كان الوحيد الذي وقف على جثته..

وقد استشهد سبعون من الصحابة في هذا اليوم منهم عمه حمزة..

وذرفت الدموع من عين الحبيب وهو يقول: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣].

ثم ألقى نظرة على بردته التي كفن بها وقد كانت قصيرة لا تستر جسده كله وقال:

لقد رأيتك بمكة، وما بها أرق حلة، ولا أحسن لِمّة منك. "ثم هاأنت أشعث الرأس في بردة"..؟!

بعده نظر الرسول الكريم نظرة واسعة حانية إلى أرض المعركة قائلاً:

إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة". ثم أقبل على أصحابه الأحياء حوله وقال: "أيها الناس زوروهم، وأتوهم، وسلموا عليهم، فو الذي نفسي بيده، لا يسلم عليهم مسلم إلى يوم القيامة، إلا ردوا عليه السلام"..

openkandil.com

تعالوا نسلم على حبيبنا مصعب ليرد علينا السلام..

السلام عليك يا مصعب..

السلام عليك يا سفير الإسلام.. يا شهيد أحد..

يا فاتح المدينة..

السلام عليك ورحمة الله وبركاته

obeikandl.com

تحليل ودروس

١- الصراع بين الملتزم ومن حوله

في بداية الالتزام..عادة ما ينشأ صراع بين الملتزم ومن حوله نتيجة لتغير الأفكار والعادات لدى الشخص الملتزم، وهذه الدوائر تبدأ بالأسرة ثم الأصدقاء ثم تتسع الدائرة لتصل إلى المجتمع ككل، وسبب هذا الصراع يختلف من حالة إلى أخرى كالتالي:

أ- قد يكون نتيجة لقيام الشخص الملتزم بأفعال مستفزة حتى وإن كانت صحيحة مثل إغلاق التليفزيون على فيلم يراه غير مستحسن مشاهدته، أو تعنيف أخ له نتيجة لعدم صلاته في المسجد،أو نقد الأب نتيجة لارتكاب خطأ في صلاته أو تدخينه السجائر، ونحن لا نعترض على الدعوة من أجل التغيير داخل المنزل، ولكن التغيير المفاجئ دون تمهيد مدروس هو الذي يسبب الصدام والفشل.

ب- قد تمرر الأسرة الموقف ولكنها تبدأ في الاعتراض نتيجة لملاحظة ظهور سلبيات على الشخص الملتزم بعد التزامه، مثل التأخر الدراسي أو الانعزال عن الأسرة والأقارب والجيران أو اتهام الناس بتهم صادمة مثل الفسوق والكفر أو الانغماس في العبادة بصورة يهمل معها مصالحه ومصالح أسرته.

ج- الحديث في الأمور السياسية كثيراً بالمنزل، مما يزرع الخوف في قلب الأب والأم ويشعران باستمرار أن الابن أصبح معرضا دائماً للخطر.

د- غالبا ما يواجه التزام الشخص بالسخرية من أصدقائه، وكلما شعروا بالضعف من ناحيته زادوا في الأمر، ولا حل لهذه المشكلة إلا بقوة شخصية الملتزم أمام أصدقائه وثقته في نفسه ودفاعه عن تدينه بعزة ولطف دون صدام.

٢- الأغنياء يلتزمون أيضاً

ليس صحيحا أن الأغنياء والمترفين فرصتهم في الالتزام ضعيفة، وأن الفقراء هم الأقرب للالتزام بحكم أن وسائل المعصية ميسرة لهم أكثر من غيرهم، فالتربية وصفات المدعو والاستعداد النفسي والأسلوب الذي يدعو به هو الفيصل ولا شيء آخر.. و ليس صحيحاً أن من كان يدخل الإسلام فقراء. ..فالكثير من أوائل المسلمين كانوا أغنياء مثل أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان ومصعب بن عمير وسلمان الفارسي و غيرهم.

٣- الثبات على المبدأ والدفاع عن التدين

في بداية الالتزام –وعلى عكس المتوقع– تواجه الملتزم حديثاً صعوبات شتى تضايقه

وتقلقه وربما تسبب له آلاماً نفسية، وهذا أمر طبيعي لأن الملتزم حديثاً كمن يولد من جديد يبدأ في النظر إلى من حوله برؤية مختلفة ، ويبدأ المجتمع من حوله يرونه بصورة جديدة، ولابد من فترة انتقالية يجب أن يديرها الملتزم بحكمة وعقلانية حتى يتقبل هو الصورة الجديدة للآخرين ويقتنع الآخرون بالتزامه، وإلى أن يحدث ذلك ستحدث مشاكل ويواجه الملتزم صعوبات عليه أن يتحملها بصبر وشجاعة واستعانة بالله ولا ينهزم أمام رياح النقد والسخرية.

٤- قدرة الإيمان على تغيير النفوس وتحمل المشاق

الإيمان له قدرة غريبة على تغيير النفوس، مهما تصورنا بشاعة صاحبها ومهما اعتقدنا أن صاحبها أبعد ما يكون عن الالتزام، ولكن التاريخ يشهد أن الإيمان خيب كل الظنون وأفسد كل التوقعات بشأن أناس كانوا آخر من يتوقع إسلامهم أو التزامهم، ففي عهد الرسول كان عمر بن الخطاب له باع في اللهو والعربدة وإيذاء المسلمين قبل إسلامه، ومصعب بن عمير وسلمان الفارسي حين تحولا برضا نفس من الترف والرفاهية إلى حياة الزهد والمشقة، وحديثاً .. يدهشنا كل يوم فنانة من هنا أو فنانة من هناك وهم آخر من تصورهم الناس ملتزمين...

والسر في ذلك..أن الإيمان طاقة ربانية ليس لقوتها حدود.. قادرة على تغيير النفوس وفك كل شفراتها لتحولها من النقيض إلى النقيض.. ولو وعى كل منا هذا الدرس لاستطاع بالإيمان أن يغير ما بداخله أياً كانت صعوبته باستخدام طاقة الإيمان الربانية الجبارة.

٥- الصادق في إيمانه لا يعدم الحيلة

إذا كان الملتزم صادقاً في التزامه غير متردد فيه مقتنع بطريقة مصر على استكماله، فلن يعدم الحيلة للتغلب على ما يواجهه من صعوبات، والمؤمن الصادق لا يظهر إلا في المواقف الصعبة، وما يحدث للملتزم من مشاكل ما هي إلا اختبارات يرسلها الله له ليختبر إيمانه وصلابته وإرادته، فإذا وجد منه صدقاً وعزيمة أعانه وهداه إلى التفكير السليم وثبته وزاده إيماناً ورفعه عنده درجات ودرجات. وإن خارت إرادته واستسلم بسهولة.. فلن يرى بقية الطريق.. بل سيبدأ رحلة التراجع خطوة خطوة.

٦- الالتزام قرين التضحية

لا التزام بدون تضحية وجهاد نفس.. والذي يظن غير ذلك مخطئا في فهم دينه، وإلا..فما هو الدليل الذي ستبرهن به على حبك لله وللرسول والتزامك بالإسلام إن لم تترك شيئاً عزيزاً عليك.. نجد مصعبا قد ضحى براحته وجاهه وعيشته اليسيرة المرفهة ليرتدى ثياباً بسيطة ويأكل أرخص الأطعمة ويتحمل مشقة السفر والحر من أجل دينه وفى

سبيل الله.. والطالب أو الشاب قد يضحى بماله أو وقته أو راحة جسده، أو هدوئه النفسي أو سكينته في أسرته أو مرحه وسط أصدقائه في سبيل الله ومن أجل رضاه والفوز بنعيمه وجنته.

٧- الخلاف في وجهات النظر بين الآباء والأبناء لا يخدش المعاملة الكريمة لهما

الخلاف في الرأي بين الآباء والأبناء وارد، وغالباً ما يشتد في مرحلة المراهقة ونادراً ما يصل طرف من الطرفين إلى إقناع الآخر بوجهة نظره، ولذلك فقد علمنا الإسلام أن للتعامل مع الوالدين خصوصية وخطوط حمراء لا يمكن تعديها مهما وصلت درجة الخلاف بين الأبناء والآباء، وقصة مصعب علمتنا أن الخلاف وصل بينه وبين أمه إلى أقصى مدى يمكن تصوره، إنه خلاف على دين وعقيدة ومصير وجنة ونار، ومع ذلك كان مصعب يحدث أمه بأدب ورفق ورحمة ومحبة رغم قسوتها الشديدة عليه وإيذائه بحبسه حتى ينصرف عن دينه، ومع الأم بالتحديد لا بد أن يراعى الابن رقة مشاعرها وشدة عاطفتها وحبها لابنها وخوفها عليه قبل أن يهم بكلمة تضايقها أو تصرف منفعل يغضبها.

٨- الذي يقنع الناس بالالتزام الجوهر لا المظهر

نجح مصعب بن عمير أن يقنع أهل المدينة بالإسلام، وما كان مصعب ليصل إلى هذا الهدف الذي سافر من أجله بأمر الرسول، إلا إذا وجدوا مصعبا رجلاً حسن الخلق باسم الوجه قوى الحجة دون إذلال لمن يناقشه لطيفاً وقوراً نظيفاً يفعل ما يقوله ولا يقول مالا يفعله..لقد اقتنع أهل المدينة بالإسلام عندما وجدوا نموذجاً عملياً للإسلام أمامهم بأخلاقه وتعاليمه، وللأسف يخطئ بعض الشباب الملتزم في فهمه للالتزام بأنه شكل، كإطلاق لحية ولبس جلباب أبيض قصير.

كما يظن آخرون أن غاية الإسلام منه هو أن يتعبد، فيصبح كل هدفه أن يجتهد في الصلاة والقيام وقراءة القرآن ويكتفي بذلك وقد خفي عليه أن الله إنما جعل العبادة من أجل تغيير النفس من الداخل لإصلاح المجتمع وتغييره إلى الأفضل.إننا لا نعترض على الملابس المحببة للملتزمين أو العبادة ولكن الاعتراض على فهم الغاية والهدف الذي يريده الإسلام منا..إن الإسلام يريد العمل بما جاء فيه..هذه رغبة الله..وبها نصل إلى طاعته وجنته.

٩- البطولة أن تثبت عند الشدائد، وتعطى الأمل لمن حولك عندما يواجههم الإحباط ويطل عليهم شبح اليأس

بعد خطأ الرماة ومخالفتهم لأمر الرسول انكشف المسلمون وبدأوا يتعرضون للهزيمة، وانهارت الحالة المعنوية للمسلمين بعدما وجدوا الهجوم الشرس عليهم من قبل المشركين

خصوصاً بعد شائعة قتل الرسول وربما كان قد أصاب مصعباً جزء من هذا الانهيار النفسي فهو بشر ولكنه لم يستسلم له، بل رأى أن أول خطوة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه هو رفع الروح المعنوية للمسلمين من بعده وهو ما فعله واستطاع بذلك أن يعيد ولو جزءاً من التوازن العسكري في المعركة، وكثيراً ما يتعرض الشخص لصدمات كبرى تهزمه وتهزم من حوله فنجدهم صرعى نفسيين،استقبلوا الهزيمة بصدر رحب وقلب مفتوح واستسلموا لليأس دون مقاومة، فيصبح العدد مهما كثر صفرا على اليسار ليس له قيمة أو وزن، وعندما يظهر من ينهض يقاوم الإحباط ليشد من أزر نفسه أولاً ثم يشجع أصدقاءه بعدها يكون بطلاً بحق، إن من يحيى الأمل في النفوس ويعيد الحياة لأناس ماتوا من سهام اليأس والإحباط في حياته لجدير أن يعد من الأبطال.

obeikandl.com

الحكيم المغامر

عن قصة (سلمان الفارسي)

" أريدك أن تذهب غداً إلى المزرعة يا سلمان، فأنا مشغول بمتابعة بناء البيت الجديد"

نطق بها الأب بصوت مجهد وقد ظهر عليه الإرهاق من أثر عمل شاق طيلة اليوم وتابع وهو مستلقيا على سريره مستعدا للنوم والراحة:

سيأتي إليك تاجر الموز غداً ليدفع القسط الأخير،لا تعطه طلبية جديدة إلا عندما آتى بعد غد. ولا تسمح للعمال بالانصراف قبل مواعيد العمل الرسمية.

قال سلمان في طاعة:

اطمئن يا أبى.. ستكون الأمور على ما يرام..

وخرج سلمان ليجلس قليلاً في غرفة الاستقبال في خشوع أمام النار المقدسة وأخذ يتضرع إليها في طقوس اعتاد عليها منذ زمن.

كان سلمان شخصية تميل ميلاً إلى التدين ونفسية لا تستقر إلا بوجود إله تناجيه وتطلب منه العون، ولم تستطع حياته الرغدة أن تلهيه عن تلك الحاجة ولم تنجح الإمبراطورية الفارسية بكل سطوتها وجبروتها المادي أن تصنع منه شاباً عابثاً لاهياً لا يفكر إلا في شهواته وإرضائها ورغباته ونزواتها..

كان سلمان مجوسياً..

نعم.. ككل أهل فارس.. مجوس.. يعبدون النار...

هي الإله الذي يأمر وينهى ويستجيب ويرفض ويرضى ويغضب ويبنى ويهدم..

وتفانى سلمان في عبادتها..حتى إن النار لم تكن لتنطفئ في بيته.. تماما كما لم ينطفئ نور بصيرته عن رؤية الطريق و...

"ما هذه الأصوات"

همس بها سلمان وهو في طريقه إلى مزرعة أبيه وقد شده صوت ترانيم تصدر من مكان قريب منه..فالتفت إليه ثم اتجه نحوه وعندما وصل إليه اقترب منه بحذر

يحاول أن يعرف ماذا يجرى بداخله..

كان المكان عبارة عن كنيسة يلتقي فيها النصارى يصلون صلاتهم ويدعون دعاءهم..

كلام مختلف.. وطقوس غريبة. ..

ولم يدع سلمان نفسه نهباً للتساؤلات الحائرة التي تلف رأسه كثيراً..

لقد دخل الكنيسة وتعرف على من فيها وعرف أسقفها وجلس بينهم يسألهم ويجيبون ويحكى لهم ويحكون...

واندمج سلمان في الحديث تماماً، حتى إنه لم يذهب إلى مزرعة أبيه بل تأخر عن موعد رجوعه للمنزل حتى بعث أبوه من يبحث عنه.. ساعات وهو يسأل ويحاور ويفكر في الماضي والحاضر والمستقبل والحق والحقيقة حتى غابت الشمس..

وانطفأت معها نار المجوسية..ليضاء قلبه بدين جديد..

المسيحية..

*****

"نعم إنها دين خير من ديننا.. ولماذا لا أدخل في دين اقتنعت أنه الأفضل ؟"

قالها سلمان لأبيه الذي وقف مذهولاً مما حدث،وكيف لا يذهل وقد ترك ابنه في الصباح على المجوسية فيأتي إليه في المساء وهو على المسيحية، أكانت تكفى بضع ساعات لكي يغير المرء عقيدته لتخالف عقيدة أبيه الذي رعاه وأحبه كأشد ما يكون الحب..

نعم..كانت تكفى سلمان..ولكنها لم تكفِ أبيه كي يقتنع بوجهة نظر سلمان، ساعات من الحوار والمجادلة بينه وبين أبيه انتهت بتدخل منطق القوة..

فقد أمر أبوه بقيد رجليه بالسلاسل وحبسه حتى يعود إلى صوابه..

يا إلهي..

أيفعل هذا أب بابنه وقد أحبه حبا لا يعرفه إلا هو وسلمان..

ولكن يبدو أن العقيدة كانت أسمى وأعلى وأقوى وأحب..

وهو نفس السبب الذي جعل سلمان لا يبالى بما فعل به أبوه، ووجد أن الصبر على مثل هذا ثمن زهيد لمعرفة الحقيقة..

كان السؤال الذي يشغل سلمان..ما هى الخطوة القادمة ؟

ولم يكن ذكاء سلمان المعروف لدى الجميع بأن يعجزه عن إجابة السؤال. ولقد بدأ في التنفيذ بالفعل..

فلقد نجح في إرسال رسالة إلى النصارى الموجودين في بلدته (أصفهان) بإيران يبلغهم فيها أنه قد دخل في دينهم، ويطلب منهم أن يبلغوه بأي فوج قادم من بلاد الشام حيث

الموطن الأصلي للمسيحية، وعندها يستطيع أن يدبر هو خطة للهروب واللحاق بالفوج وهو عائد إلى الشام..

ونجحت خطة سلمان..

فلقد وصل إلى المكان الذي يريد.. وهناك استمر في بحثه عن المزيد والمزيد عن الدين الجديد حتى وصل إلى أسقف كنيسة النصارى في مكانه وهناك التقى به وحكى له قصته.

يا له من قرار صعب لشاب في مثل سن سلمان

ويا لها من جرأة أن يقرر أن يهجر بلده وأهله وحده دون معين ودون ترتيب لحاله في مكانه الجديد..

أين يسكن..ومن أين يعيش. وهو وحيد في بلد جديد لا يعرف من أهلها إلا أصحاب السفر..

لكن الأسئلة الصعبة لدينا لم تكن لتمثل أرقاً كبيراً لدى سلمان إزاء ما يسعى إليه من كشف لحقيقة كبيرة وخطيرة..

حقيقة الوجود..

فليكن ما يكون حتى يعرف الحقيقة..

حتى لو عمل..

خادما.. نعم خادماً

تصوروا..!!!

سلمان الفارسي الذي كان يعيش في بيته تحت يديه الخدم عن يمينه يعمل الآن خادما لدى أسقف الكنيسة..

لقد قبل سلمان هذا العمل من أجل أن يظل قريبا من الأسقف فينهل من علمه ما شاء وتنجلي لديه الحقيقة أكثر وأكثر وتسنح له الفرصة في العبادة والصلاة.

وكان سلمان من الذكاء بحيث يحدد هدفه من وجوده مع أسقف الكنيسة.. العلم.. ولذلك ظل ملازما للأسقف رغم اكتشافه لأمر خطير يمس نزاهته وشرفه..

فلقد كان الأسقف لصاً.. نعم..لصاً..

كان الأسقف يدعو رواد الكنيسة إلى التبرع بأموالهم ليخرجها صدقات للفقراء، فإذا به يخدعهم ويأخذها لنفسه..

حقا إنه فعل مشين خاصة أنه جاء من رجل دين..لكن حكمة الشاب سلمان هدته إلى أن تصرف الأسقف لا يشين الدين الذي يدين به بل يشينه هو نفسه..

فليستمر معه إلى أن يظهر جديد..

وظهر الجديد..فلقد مات الأسقف اللص وتولى أمر الكنيسة من بعده رجل عابد زاهد أحبه سلمان كأشد ما يكون الحب،وجلس إليه سلمان يسأله ويحاوره وينهل من علمه ما استطاع ويسأله النصيحة في دينه والوصية من بعده..

وكانت الوصية..أن يذهب إلى رجل عابد زاهد مثله يعيش في الموصل..

وبعد وفاته.. ذهب رحال الحقيقة عاشق التدين إلى الموصل ليلتقي بأسقف جديد في بلد جديد..

وكانت الوصية هذه المرة في عمورية في بلاد الروم،فذهب إلى أسقف عمورية وأقام عنده يعرف منه الجديد عن دينه الجديد ويصلى ويتعبد ويعمل راعيا للغنم.

ألا تتعجبون مما يحدث..

ألا تندهشون مما يفعله سلمان.. رحلة من فارس إلى الشام،ثم أخرى إلى الموصل وثالثة إلى عمورية في بلاد الروم..كل هذا وحده دون رفيق أو معين!!!

" إن سلمان يبحث عن شيء لا يعرفه..

إن نداء بداخله يعلو صوته شيئا فشيئا ولكنه لم يحدد كلماته بعد..ولكن من المؤكد أنه يقترب ويقترب..

فلقد وضعت وصية أسقف عمورية سلمان على أول الطريق..

" يا بني ما أعرف أحدا على مثل ما كنا عليه، آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي يبعث بدين إبراهيم حنيفاً.. يهاجر إلى أرض ذات نخل بين جرّتين، فإن استطعت أن تخلص إليه فافعل. وإن له آيات لا تخفى، فهو لا يأكل الصدقة.. ويقبل الهدية. وإن بين كتفيه خاتم النبوة، إذا رأيته عرفته. "

يا لها من وصية جديدة وخطيرة..

إن الرجل ينبئ سلمان بأن هناك نبي قد أتى بدين جديد وحدد له علامات المكان الذى يوجد فيه..

وستبدأ رحلة لبلد جديد..ودين جديد

ويبدو أنها ستكون الرحلة الأخيرة..

إنها تستحق أن يضحى سلمان بكل ما يملك من أجلها..ثمناً للحقيقة..

ولقد فعل سلمان..فلقد عرض وبدون تردد كل ما يملك من أبقار وغنم على فوج علم أنهم من جزيرة العرب على أن يأخذوه معهم عند عودتهم..

وبالفعل أخذوه معهم إلى وادي القرى بجزيرة العرب، لكنهم لم يكتفوا بما أعطاهم سلمان من أبقار وغنم دون ثمن، بل باعوه كعبد إلى يهودي بها.

ما هذا الذي يحدث لك يا سلمان..

أنت الذي كنت ملكاً في بلدك تصبح الآن عبداً ليهودي..

أبلغ إصرارك على معرفة الحقيقة إلى هذا الحد..سفر ومشقة وتضحية وذل..

كان من المكن أن تضعف عند أي مرحلة وتكتفي بما اجتهدت فيه وتعود إلى بلدك وبيتك وأبيك ومالك وعزك..

كان من الممكن أن تشفق على نفسك مما يحدث لك في لحظة تخلو بها مع نفسك وتقرر نهاية الرحلة.

لكن غريزة المعرفة عند سلمان كانت أقوى من أي شيء..

لم يفكر سلمان في ما يحدث له وما حدث له وما سيحدث له..كان يفكر فقط في كلمات أسقف عمورية..ووصف المدينة التي بها نبي الدين الجديد

مدينة بها نخل كثير..كانت وادي القرى بها نخل كثير بالفعل ولكن سلمان يرجح أن تكون هي المدينة المقصودة، وظل سلمان عند اليهودي الذي اشتراه حتى أتى إليه رجل من بني قريظة فاشتراه منه وعاد به إلى المدينة، فما أن وصل إليها سلمان ونظر إليها نظرة فاحصة حتى أيقن أنها هي..

المدينة الموعودة..

" قاتل الله بني قيلة .. ليتقاصفون على رجل بقباء، قادم من مكة يزعم أنه نبي.."

هتف بها رجل يهودي وقد تملكه الغضب والغيظ إلى سيده الذي يجلس تحت نخلة من النخل الذي يملكه، في الوقت الذي كان فيه سلمان يتسلق على النخلة ليجمع ثمارها،وما إن سمعه سلمان حتى نزل مسرعا من على النخلة حتى كاد يسقط على صاحبه وما إن استقر على الأرض حتى هتف لصاحب الخبر قائلاً:

ماذا تقول يا رجل.. ؟ ما الخبر..؟

رفع سيده يده في حنق وضربه ضربة شديدة قائلاً في عنف:

مالك وما نتحدث فيه..عد إلى عملك بسرعة.

وبالفعل عاد سلمان إلى العمل..ولكنه ظل يتسمع الحديث فعلم أن النبي قد نزل بمسجد يسمى قباء في المدينة..

وبعد أن انتهى من عمله، جمع بعض مستلزماته ولكن لرحلة قصيرة هذه المرة.. مسجد قباء..

وعندما دخل سلمان المسجد استطاع أن يميز الرسول الكريم ربما لالتفاف بعض الصحابة حوله يتحدثون إليه ويسألونه..فشاركهم سلمان الحوار وعلم بأمر هجرتهم من مكة وبدأ أول اختباراته للتأكد من شخصية الرسول قائلاً:

لدى بعض الطعام كنت قد نذرته كصدقة وأرى أنكم أولى به فأنتم أهل غربة.. تفضلوا معى..

فنزل سلمان إلى أرض المسجد يفترش الطعام ومعه الصحابة متهللين بهذه الوجبة التي جاءت إليهم من السماء وأخذوا يأكلون الطعام وهم يتجاذبون أطراف الحديث مع سلمان الذي تظاهر بأنه معهم وهو في الحقيقة يتابع الرجل الذي بدت عليه أول علامات النبوة..

فالجميع تناولوا الطعام مع سلمان.. إلا الرجل. لقد صدقت أول العلامات.. فالرجل بالفعل لا يأكل الصدقة.

وفى اليوم التالي حضر سلمان إلى المسجد وفى يده جعبة بها طعام وبعد أن دخل المسجد اتجه إلى الرسول فحياه وجلس إليه وقال له وهو يبتسم:

لقد لاحظت أنك لم تأكل معنا بالأمس فأحببت أن أكرمك بهدية فلتقبلها منى.

فقبل الرسول مبتسما ودعا الصحابة معه للطعام وهو يقول:

كلوا باسم الله.

إنها العلامة الثانية.تظهر أمام سلمان..إن الرجل يقبل الهدية.

لقد نجح سلمان في أن يختبر الرسول في العلامة الأولى والثانية دون أن يشعر أحد أنه يبحث عن شيء ما..

لكن الذي لم يشعر به سلمان أن الرسول شعر بما يريد وقرر أن يساعده في الوصول إلى العلامة الثالثة التي لولا مساعدته لأجهد سلمان في التوصل إليها. وهو ما دعا الرسول إلى أن يلقى بردته بعد أن سلم عليه سلمان وهو يسير في جنازة بالبقيع، وبعد أن سلم عليه لاحظ الرسول أن سلمان قد عدل من وضعه لينظر في ظهر الرسول، فألقى الرسول بردته ليرى سلمان خاتم النبوة بين كتفي الرسول ويتأكد سلمان من العلامة الثالثة.. والأخيرة..

"إنه النبي..لا شك في ذلك".

لابد أنه قد هتف بها سلمان في نفسه قبل أن يفقد السيطرة على مشاعره و ينكب على الرسول باكياً يقبل يديه.

ولما شعر الرسول بصدق سلمان طلب منه تأجيل الحديث الآن حتى تنتهي الجنازة ثم دعاه إلى جلسة الدخول في دين جديد..

ظل سلمان يحكى للرسول وشرح الرسول لسلمان..

وأسلم سلمان..

الدين الثالث لسلمان..

ولكنه الأخير...

لقد نجح سلمان في الوصول إلى الحقيقة..

الكاملة..

نسى بها كل ما تكبده من جهد ومشقة في السفر والترحال..

إلا أن شيئاً واحداً لم يستطع ولن يستطع أن ينساه.. إنه العقبة الكئود بينه وبين مشاركة المسلمين وجهاده معهم..

إنه الرق..الذي منعه من الاشتراك في غزوتي بدر وأحد..

وكم كان حزن سلمان لذلك..وفى جلسة بينه وبين الرسول ﷺ، أثيرت المشكلة فدعا الرسول سلمان أن يكاتب سيده يطلب منه العتق، ودعا الرسول أصحابه ليعينوه على ذلك..

وتحرر سلمان بالفعل

وكانت نعم الهدية التي أهداها الإسلام لسلمان...

لقد وصل سلمان إلى الحقيقة وأنهى طريقاً مضنياً صعباً لسنوات، وتنفس نسيم الحرية.. لينطلق سلمان بعدها ليشارك لأول مرة في الجهاد ضد كفار قريش ويهود المدينة في غزوة الخندق.. وفيها..

كان سلمان ينتظره لقاء حاراً.. مع التاريخ.

******

obeikandl.com

وكأن الله أراد لسلمان أن يدخل الإسلام وهو على درجة من فهم الحياة ونفوس البشر، ولم لا.. وهو الذي قضى سنوات من عمره في غمار السفر يصارع الأيام ويقهر الصعاب في بلاد لا يعرفها ولا تعرفه..

لقد أكسبت المواقف العديدة والصعبة التي تعرض لها سلمان حكمة نافس بها من سبقوه، بسنوات ولقد كان سلمان مهيأ بقدرته على البحث وحب العلم وجمع المعلومات وتحليلها بصور منطقية وقدرة على اتخاذ قرارات مصيرية وصعبة.. ولهذا امتلك سلمان صفات ندر أن تجدها في العديد من الصحابة..

فلقد أصبح ذا علم وحكمة وذكاء وخبرة بالحياة وحب للمغامرة وشجاعة في اتخاذ القرار..

ألا ترون معي أن سلمان..قد صار رائعاً..؟

وربما كانت هذه هي الأسباب التي جعلت الرسول ﷺ يختار أبا الدرداء أخاً له ضمن مشروع الأخوة الذي بدأ الرسول في تنفيذه منذ العام الثاني للهجرة لإزالة الخلافات المترسبة بين المسلمين من أهل المدينة قبل الإسلام وإذابة الفوارق الاجتماعية بينهم من ناحية وبينهم وبين المهاجرين من ناحية أخرى وتشجيع الأنصار على احتضان المهاجرين في غربتهم.

فلقد كان أبو الدرداء مبالغاً في العبادة إلى الحد الذي أهمل فيه نفسه وزوجته وحياته، حتى أن سلمان عندما رأى زوجة أبى الدرداء في زيارة له في إحدى المرات في حالة رثة، سألها متعجبا:

ما شأنك؟!

أجابت أم الدرداء في استسلام:

إن أخاك ليس في حاجة إلى الدنيا.

وفى مرة ثانية زاره في يوم جمعة فوجده نائماً فلما سأل قالت له زوجته إنه يقوم الليل كله يوم الجمعة ثم يصوم..

هنا شعر سلمان أن الأمر في حاجة إلى التدخل بموجب عقد الأخوة الذي بينهما، إن واجب الأخوة يفرض على سلمان أن ينصح أبا الدرداء بتعديل أسلوبه في الحياة وفكرته عن الإسلام، فاستأذن زوجته أن تصنع طعاماً فلما جلس للطعام قال له أبو الدرداء:

تفضل يا سلمان.. لم تأكل ؟

قال سلمان:

أنتظرك

رد أبو الدرداء:

لا..لا تنتظرني يا أخي فإني صائم..

فأصر سلمان على أن يأكل معه أبو الدرداء وإلا امتنع هو عن الطعام أيضاً ..وأمام إلحاح سلمان قطع أبو الدرداء صيامه على مضض وأكل مع سلمان.

بعدها استمر سلمان في مراقبة تصرفات أبي الدرداء التعبدية ومحاولة إثنائه عن المبالغة فيها بهذا الشكل حتى ضاق أبو الدرداء يوماً وهو يلومه على تخصيص يوم الجمعة بالصيام والقيام فقال له أبو الدرداء معاتباً:

أتمنعني أن أصوم لربى وأصلى له..؟!

فقال سلمان ناصحاً في عطف:

يا أخي.. إن لعينك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقاً، صم وأفطر، وصل ونم.وكان صعباً على أبى الدرداء أن يقتنع بكلام سلمان فلم يجدا بداً من أن يطرحا القضية على رسول الله ﷺ..

وأكرر دون مبالغة..(القضية) ، فعندما يرتبط الأمر بأسلوب الحياة وطريقة التفكير يصبح الأمر قضية..

ولقد حسم الرسول الأمر وهو يربت بيده بحنان على فخذ أبى الدرداء قائلاً:

"عويمر" سلمان أعلم منك ـ ثلاث مرات ـ لا تخصن ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصن يوم الجمعة بصيام من بين الأيام"

رائع يا سلمان.. رائع.

وسيزيد من روعتك شهادة الرسول ﷺ لك وهو يقول:

"لقد أشبع سلمان علماً"

فلقد كان الرسول ﷺ معجباً بذكائه وعلمه كثيراً كما كان معجباً بخلقه ودينه..

لقد كان سلمان متفرداً بحق ليس في صفاته وحسب..ولكن في تصنيفه أيضا بين الصحابة..

فلم يكن سلمان مهاجراً ولا أنصارياً..

وهذا التميز والتفرد هو الذى جعل المهاجرين والأنصار يتنازعون عليه يوم الخندق، فيقول المهاجرون: سلمان منا.. ويرد الأنصار: لا بل سلمان منا !!

وللمرة الثانية يحسم الرسول ﷺ أمراً يخص سلمان حسماً لا يجرؤ أن يرد عليه أحد فينادى قائلاً:

"سلمان منا آل البيت"

يا له من شرف أكبر من أن تصفه الكلمات..

ولكن الرسول لم يكن ليعطى فارسياً هذا الشرف إلا إذا كان يستحقه عن جدارة،ولقد أثبت سلمان بالفعل أنه يستحقه في الماضي..وسيثبت أنه يستحقه في المستقبل القريب..والقريب جداً..

في غزوة الخندق..

* * *

تحالف رهيب بين يهود المدينة ومشركي مكة في حرب الفرصة الأخيرة، حرب حاسمة تريد أن تقضى على وجود المسلمين تماما وإلى الأبد..

ولقد كانت الخطط غادرة ماكرة مباغتة مفاجئة..تفقد الطرف الآخر التركيز وتصيبه بالإحباط والشلل..

يهاجم جيش قريش وأشجع وغيرهم "المدينة" من خارجها، بينما يهاجم يهود بنو قريظة من الداخل، ومن وراء صفوف المسلمين، ليقف المسلمون محاصرين بين اليهود وجيش قوامه عشرة آلاف مقاتل جاءوا وكلهم عزم على كتابة كلمة النهاية..

كان الموقف على المسلمين أقسى من أن يتوقعه أحد..

وكان وصف القرآن له بليغا دقيقا:

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠﴾ [الأحزاب:١٠].

ما العمل.. ما الوسيلة لردع هذا الهجوم الضاري غير المسبوق..

وكان إجراء طبيعياً أن يجمع الرسول مجلس الحرب للتشاور..

وكان الإجماع على الدفاع والقتال أمراً بديهياً لا يحتاج إلى نقاش..

حيرة بين الصحابة وتوتر وقلق ومشكلة كبيرة تبحث عن حل..

ولكن كيف الدفاع؟

obeikandi.com

هنالك تقدم الرجل الطويل الساقين، الغزير الشعر، الذي كان الرسول يحمل له حباً عظيماً، واحتراماً كبيراً.

تقدّم سلمان الفارسي ونظر من فوق هضبة عالية، نظرة فاحصة على المدينة، فوجدها محصنة بالجبال والصخور المحيطة بها..

إلا فجوة واسعة، ومهيأة، يستطيع الجيش أن يقتحم منها المدينة في يسر.. وهنا هتف سلمان قائلاً: "إنه الخندق".. وبسرعة الرياح.. أخذ يشق طريقه إلى الرسول ليعرض عليه الفكرة كانت الفكرة معتادة في بلاد فارس ولكنها كانت جديدة على العرب.. كانت فكرة جديرة بأن تخيف قائداً عادياً ينظر إلى الجنود العاديين بمنطق أن التفكير في آرائهم مضيعة للوقت.. كانت الفكرة تخيف قائداً عادياً يرتبك أمام الأفكار الجديدة وتتوتر أعصابه ويجد رأسه قد ثقلت فلا يستطيع أن يتخيل الأحداث في الوضع الجديد ويفقد الإحساس بالواقع والقدرة على التوقع فيختار حلاً سهلاً بسيطاً يرفض الفكرة فوراً، ولا نقاش.. سننفذ ما نعرفه ولا مجال للفلسفة والاختراعات الآن.. ولكن من قال أن الرسول ﷺ قائداً عادياً.. إنه معلم البشرية.. فكر الرسول في الفكرة.. وجدها قيمة جديرة بالبحث والتنفيذ.

وعلى الفور بدأ الرسول ﷺ يقسم المجموعات لحفر خندق سلمان، بإنجازه في وقت محدد وبمواصفات محددة..

ونجح المسلمون في إنجاز المهمة في الوقت المحدد، وأصيب المشركون بالدوار من هذا الخندق الغريب العجيب الذي لم يكن في الحسبان، واكتسب المسلمون الوقت الكافي للتفكير وتفكيك تحالف الشر بين قريش وحلفائها..

وأخيراً.. وبعد أربعة وعشرين يوماً من الحصار.. أمر أبو سفيان جيوشه بالرحيل..

لقد كان اليوم يوم سلمان بلا شك.. ليس بسبب الخندق فحسب.. بل بسبب واقعة أخرى سجلها له التاريخ..

واقعة الصخرة.. صخرة النبوءة

* * *

كان الرسول ﷺ قد وزع المسلمين مجموعات،كل مجموعة يقومون بحفر رقعة معينة، وفى الرقعة التي كان مسئولا عنها سلمان ومجموعة من أصحابه اعترضتهم صخرة صلبة شديدة الصلابة، لم ينجحوا جميعا في كسرها حتى سلمان رغم عافيته وقوة بنيانه .. فلم يجد سلمان بداً من أن يستأذن الرسول ﷺ في تغيير مسار الحفر لتفادى تلك الصخرة..

وقبل أن يتخذ الرسول القرار، عاد مع سلمان إلى الموقع لدراسة المشكلة على الطبيعة، وعندما رأى الصخرة رأى أن الأمر لا يخلو من محاولة أخيرة، فطلب معولاً وطلب ممن معه من الصحابة أن يبتعدوا قليلاً كي لا تصيبهم الشظايا الناتجة عن الاصطدام.

وسمى الرسول بالله..ورفع يديه الشريفتين وهو يمسك المعول بكل عزم وقوة وهوى بها على الصخرة أحدثت بها فلقا عميقا وخرجت على أثرها شرارة عظيمة أضاءت جوانب المدينة..!!

نعم.. هكذا وصف سلمان بعد أن تملكته الدهشة مما رأى، والتي ما كاد أن يفيق منها حتى تملكته مرة أخرى مما سمعه من رسول الله وهو يهتف قائلاً :

"الله أكبر..أعطيت مفاتيح فارس، ولقد أضاء لي منها قصور الحيرة، ومدائن كسرى، وإن أمتي ظاهرة عليها"..

نبوءة نصر في وقت تنبأ معظم المسلمين لأنفسهم الهزيمة..

وموعد ضربة الرسول الثانية كان سلمان على موعد مع الحلقة الأخيرة من مسلسل الدهشة..

"الله أكبر.. أعطيت مفاتيح الروم، ولقد أضاء لي منها قصورها الحمراء، وإن أمتي ظاهرة عليها".

هكذا هتف رسول الله.. وهكذا سمع سلمان والصحابة الذين ارتفعت روحهم المعنوية فجأة وأيقنوا أن النصر آت لا محالة..

واختتم المشهد بتهليل وتكبير المسلمين الذي رج الأرض وصاحوا في إيمان عظيم:

"هذا ما وعدنا رسول الله"

هل يا ترى انتهى المشهد العجيب المبهر أمام سلمان..

لا.. إن المشهد لم ينته بعد.

لقد كان سلمان على موعد مع رؤية النبوءة حقيقة أمام عينيه..

نعم.. لقد أطال الله في عمر سلمان حتى رأى مدائن الفرس والروم ورأى قصور صنعاء وسوريا ومصر والعراق.

مد الله في عمر سلمان فعاصر أبا بكر وعمر وعلياً بن أبى طالب..ورأى بلدان العالم وهى تفتح أذرعها للإسلام.

ليس هذا فحسب.. فلقد أصبح أميراً على المدائن بعد إلحاح شديد من عمر بن الخطاب..

openkandil.com

فلقد كان يكره الإمارة ويشعر أنها قيداً عليه لا يستطيع الفكاك منه..

ولكنه قبلها مضطراً.. ولكنه احتاط لنفسه جيداً، فلقد كان يخاف أن تشده الإمارة إلى الدنيا وتبعده عن الآخرة..فظل على زهده وتواضعه و..

ألا تحمل عنى هذا الشيء يا رجل ؟

نطق بها الرجل وقد بدا عليه الإرهاق الشديد من أثر حمل من التمر والتين كان يحمله على ظهره وهو قادم به من بلاد الشام، وما إن نظر إليه الرجل الفقير حتى هب إليه يحمل عنه، وسارا معاً..وفى الطريق مرا على جماعة واقفة يتحدثون فألقى عليهم السلام.

فأجابوا: وعلى الأمير السلام.

وتساءل الرجل الشامي في دهشة:

أي أمير يعنون؟ وذهل الرجل حينما رأى الناس يسارعون إلى الرجل قائلين في أصوات متضاربة متلاحقة:

"عنك أيها الأمير سلمان"

وبدا الرجل غير مصدق لما سمع وتلعثمت شفتاه بكلمات الاعتذار واقترب ينتزع الحمل من الأمير سلمان.

إلا أن الأمير سلمان رفض قائلاً في تواضع:

" لا حتى أبلغك منزلك"

كان يشعر أن الإمارة غولاً يهجم عليه كل لحظة..فوضع خطة لحمايته منها بالتواضع.. والزهد أيضاً..

فقد رفض أن ينال من مكافأة الإمارة درهماً وظل يأكل من عمل يده..كان يضفر الخوص ويجدله ويصنع منه أوعية..

كان يلبس ثوباً قصيراً انحسر من شدة قصره إلى ركبتيه..

يا الله..أهذا هو سلمان ابن فارس صاحب الترف والبذخ والثراء يرضى بهذا التقشف وهذه البساطة والدنيا ملك يديه..

إنه مطمئن بهذه البساطة.. سعيد بها..متفائل بمصيره معها..

سلمان الذي كان ينفق بلا حساب في بيت أبيه، جعله الإسلام ينفق بلا حساب في سبيل الله..

فلقد كان يتصدق بما بين أربعة آلاف وستة آلاف درهم في العام وكان يقول:

obeikandi.com

أشترى خوصاً بدرهم، فأعمله، ثم أبيعه بثلاثة دراهم، فأعيد درهما فيه، وأنفق درهماً على عيالي، وأتصدّق بالثالث.. ولو أن عمر بن الخطاب نهاني عن ذلك ما انتهيت"!

لم يكن زهد الصحابة إذن لفقرهم أو لأنهم تعودوا على حياة صعبة خشنة في الجزيرة العربية.. بل كانت حماية لهم من غرور الدنيا وطوفانها.

كان بيته ينطق بزهد ورع عجيب، كان يعرفه البناء الذي قام بتصميم بيته فوصفه له قبل بنائه قائلاً:

لا تخف.. إنها بناية تستظل بها من الحر، وتسكن فيها من البرد، إذا وقفت فيها أصابت رأسك، وإذا اضطجعت فيها أصابت رجلك"..!

وكأنه يريد أن يأخذ توقيع سلمان على رسم هندسي، فإذا بسلمان يوقع مرحباً وهو يقول: "نعم هكذا فاصنع"

لقد زهد سلمان حتى ظن أن طبقاً يأكل فيه ومطهرة يشرب منها ويتوضأ خروجاً على القوانين التي وضعها لنفسه ليظل قريبا من الله والآخرة وهو في غمار حياته في الدنيا.

زاره سعد بن أبى وقاص في أحد الأيام فوجده يبكى،

قال له سعد:" ما يبكيك يا أبا عبد الله..؟ لقد توفي رسول الله وهو عنك راض".

فأجابه سلمان: "والله ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً، فقال: ليكن حظ أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب، وهاأنذا حولي هذه الأوساد"!!

والأوساد تعنى الأشياء الكثيرة،والأشياء التي كان يظن سلمان أنها كثيرة هي الطبق والمطهرة.

إلا أن سلمان كان يحتفظ بشيء من طيبات الدنيا كان يخاف أن يكتشفه أحد، ولذا طلب من زوجته أن تخبأه في مكان بعيد وأمين لا يعرفه أحد..

لم يكن ذهباً ولا مالاً..

لم يكن خريطة لكنز أو مفتاحاً لحصن..

كان..

زجاجة عطر..

ادخرها سلمان للقاء كان ينتظر فيه ضيوفا كان يعرف أنهم يحبون العطر..

انظر كيف كان سلمان كريم الضيافة..

وعندما اقترب الموعد طلب من امرأته إحضار العطر وقال لها:

انضحيه حولي.. فإنه يحضرني الآن خلق من خلق الله، لا يأكلون الطعام، وإنما يحبون الطيب".

فلما نثرت العطر حوله قال لها:

"اقفلي على الباب وانزلي"

فنظرت إليه زوجته النظرة الأخيرة وخرجت وأغلقت الباب..

خرجت وفارقت روحه المباركة جسده ودنياه ودنيانا ليحيا في دنيا أرحب وأوسع وأفضل.

رحمك الله يا سلمان..

رحمك الله يا لقمان الحكيم..

رحمك الله يا أشبه الناس بعمر بن الخطاب

*****

obeikandl.com

تحليل ودروس

١- الرفاهية لا تتعارض مع التدين

الفطرة الإنسانية تجعل الإنسان غنياً أو فقيراً في حاجة مستمرة إلى إله يعبده، يشعر بالاحتياج إليه والشكوى له وطلب نصرته، وربما يكون الغنى المرفه الذي يعانى من طغيان المادة في حياته أحوج إلى ذلك من غيره وهذا يفسر الآتي:

أ- تزايد أعداد المسلمين في الدول المتقدمة اقتصادياً،حيث يلبى فيها كل متطلبات الفرد ويستجاب لكل شهواته، مثلما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية، بالرغم من أن من يدخل في الإسلام يعلم تماماً بأنه سينتقل من عالم الحرية المطلقة إلى حيز الحرية المقيدة بالحلال والحرام،ومع ذلك فهو يرحب بذلك لأنه يكتشف أن شعوره بوجود الله معه ورضاه عنه يعوضه عن كل شهوات الدنيا، بل ويعطيه لذة في قلبه لا تعدلها لذة.

ب- استجابة الطبقات الغنية في مصر لمحاضرات عمرو خالد أكثر من استجابتهم لأفكار دعاة آخرين، والسر في ذلك أنهم وجدوا في محاضرات عمرو خالد الغذاء الروحي الذي افتقدوه في خضم المادة والشهوة التي تسيطر عليهم ويعيشونها كل يوم.

٢- حب العقيدة يسمو فوق أي حب

كان سلمان يحب أباه حباً جماً،ولكنه عندما تعارض مع حبه لله ودفاعه عن عقيدته، اختار عقيدته دون تردد، وفضل حبه لله على حب أبيه، إن حب الله لابد أن يعلو على حب أي شيء.. المال والنفس والشهرة والمجد وحب الدنيا والأب والأم والزوجة والأولاد.

٣- تفضيل حب الله على حب الوالدين، لا يعنى سوء معاملتهما

- ليس معنى أن يغلب حب الله حب الوالدين أن نعامل آباءنا بجفاء أو تجهم أو تعالى، فإنه يتنافى مع عقيدة الإسلام التي نؤمن بها، ومهما وصل الخلاف فلتكن المعاملة بالرفق واللين والبسمة والحوار ولتتحمل غضبهم -إن حدث- في سبيل الله.

٤- الحث على التفكير والبحث

ضرب سلمان مثالاً نادراً في التفكير والبحث، فهو لم يستسلم للأفكار التي وجد مجتمعه عليها، بل أعطى نفسه فرصة أن يسمع الأفكار الجديدة وأن يفكر فيها وأن يقبلها طالما تأكد من صحتها ووجدها أفضل من سابقتها، وقد عانى الكثير والكثير في سبيل ذلك

من إيذاء أبيه له وترحاله من بلد لبلد والتضحية بكل ما يملك من مال في سبيل استمرار بحثه للوصول إلى النتيجة التي ترضيه.

إن عقول الشباب المسلم لهى في أشد الحاجة إلى عقلية مثل عقلية سلمان، تفكر في تصرفاتها وأفعالها، وتزنها بميزان الحقيقة،وتستمع إلى أفكار الآخرين وتفكر فيها وتلتزم بها إن وجدتها صحيحة تستحق الاتباع.

إن عقلية سلمان المتفتحة وحبه للبحث وتضحيته في سبيل ذلك، أكسبته أقصى ما يستطيع أن يكسبه شخص في دنياه..

أكسبته الجنة.

٥- الاجتهاد والتضحية من أجل تحصيل العلم

تعيش الأمة الإسلامية أذل عصورها،وتستهين بها كل الأمم،ويعد أحد الأسباب القوية لذلك احتقارها للعلم وعدم تقديرها للعلماء، فالشباب لا يجد للعلم نفعاً، والغش في المدارس أصبح وسيلة معترف بها للنجاح، والمعلم مهان بسبب احتياجه الدائم لعائد الدروس الخصوصية، وحاملو المؤهلات العلمية يعانون من البطالة.

ولقد أعطانا سلمان الفارسي -حيث إنه كان ابناً لإمبراطورية متقدمة علمياً- درساً في حب العلم وتقديره والتضحية من أجله، حتى أنه قبل أن يعمل خادماً عند أسقف الكنيسة حتى تسنح له الفرصة كي ينهل من علمه للتعرف أكثر على المسيحية الدين الجديد له.

٦- عندما يصدر الخطأ من مسلم، فليس هذا خطأ الإسلام..بل خطأ المسلم في تطبيق الإسلام.

يقع الكثير من الناس فريسة لفكرة خاطئة، وهو أنه طالما ارتكب متدين خطأ، إذن الإسلام نفسه به خطأ، وأنه لا يريد أن يكون متدينا حتى لا يقع في مثل هذه الأخطاء، وفى الحقيقة فإن سلوك بعض المتدينين وتعاملاتهم، يفتن الناس بتصرفاتهم الخاطئة ويصرفون الناس بأعمالهم عن التدين، فيظلمون الإسلام نفسه ويؤذونه أشد الإيذاء قبل أن يؤذوا أنفسهم.

ولقد كانت حكمة الشاب سلمان بليغة حين رأى أسقف الكنيسة يأكل أموال الصدقات، ففهم أن هذا التصرف يرجع إلى أسقف الكنيسة ولا يرجع إلى المسيحية نفسها،ولم يلصق التهمة بالدين ولم يفكر في تركه بسبب تصرف من مسيحي حتى وإن كان

أسقف الكنيسة نفسه، بل توهجت حكمة سلمان بأنه سكت عما رآه في سبيل أن ينهل من علمه ما استطاع.

٧-الإصرار على الوصول للهدف مهما تكن الصعوبات

شبابنا ييأس بسرعة، وطاقته تنفد عند أول محاولة أو الثانية على الأكثر ودائماً يتهم الزمن والحظ والمجتمع والناس، ولكنه لا يعلم حقيقة مهمة يعرفها كل الناجحين والمتفوقين ويحفظونها عن ظهر قلب، وهو أن الهدف لن يتحقق من أول محاولة ولا ثاني محاولة، وربما يستلزم تحقيق الهدف محاولات ومحاولات يغير فيها صاحب الهدف تفكيره وأسلوبه في الوصول للهدف إلى أن ينجح في النهاية، وبالتأكيد سينجح، لأنها الوسيلة المضمونة للنجاح، وعلى ذلك فلا بد أن يتمتع صاحب الهدف إن أراد أن يكون من الناجحين بالإصرار والإرادة والثقة بالله والتوكل عليه.

وسلمان حاول محاولات عديدة وتعرض لمواقف صعبة كان من الممكن أن ييأس منها ويعود إلى بلده ولكنه ثابر وتحدى حتى وصل إلى الحقيقة التي أراد أن يصل إليها فكان جزاؤه الإسلام.

٨- ذكاء الصحابة والرسول في التعامل مع سلمان

لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم مجموعة من المبرمجين على إطلاق جمل معينة عندما يقابلون شخصاً جديداً بأن يدعونه إلى الإسلام بمجرد مقابلته، ولكنهم كانوا على وعى وفهم للنفوس وفن الدعوة إلى الله، فلم يطلبوا منه الدخول في الإسلام لا أول مرة ولا ثاني ولا ثالث مرة، وربما تركوا الأمر للرسول الذي علم بفطنته أن سلمان يبحث عن شيء ما وعندما يجده سيصبح الطريق ممهداً لإسلامه وقد كان، فلقد تركه الرسول حتى تأكد من نبوته، فأسلم بعدها على الفور.

٩- قد يؤجل الله إتمام عمل أردته حتى تستكمل مؤهلاته

دخل سلمان الإسلام وهو على خبرة كبيرة بنفوس البشر استطاع بها أن يفيد الإسلام كثيراً في الحروب والحياة المدنية (موقفه في غزوة الخندق، واستشارة الخليفة عمر له في شخصيات معينة قبل توليتها مسئوليات)..

وربما يحزن الإنسان لأنه لم يحقق أمنية معينة في وقت معين، ولكنه قد لا يعلم أنه ربما قد يكون هذا الوقت غير مناسب لتحقيق ما يتمناه، فيؤجل الله له تحقيق هذا الأمر في وقت يكون هو فيه أكثر استعداداً له.

(عدم توفيق شخص ما للزواج في وقت ما وتوفيق الله له في وقت آخر)

١٠- المجتمعات العربية تخاف من الأفكار الجديدة وتجهضها

كان موقف الرسول ﷺ من قبول فكرة سلمان بحفر الخندق وهو فكرة كانت جديدة على العرب والمسلمين بالطبع، كان دليلاً على مرونة الرسول في قبول الأفكار الجديدة وإعطائه الحرية للمسلمين كي يبدعوا ويفكروا في حل المشكلات، فكان ذلك سبباً مباشراً في انتصار المسلمين في غزوة عصيبة ولك أن تتخيل حال المسلمين في حالة الهزيمة.

وفي مجتمعنا العربي للأسف نواجه الأفكار الجديدة بالسخرية والنقد الشديد اللاذع، مما يجعل المبدع منعزلاً ومتهماً طوال الوقت، فإما أن يصمد وكأنه في موقعة حربية مع مجتمع بأكمله، وإما أن يتراجع ويتنازل عن أفكاره ويقتل مواهبه بنفسه، وإما أن يهاجر إلى بلاد تهتم بالمبدعين وترعاهم ككل العقول المهاجرة من العالم العربي إلى أمريكا وأوروبا.

إننا لن نستطيع أن نواجه مشاكلنا طالما نقتل الإبداع ونحارب المواهب ونرتعش من الأفكار الجديدة، والغرب إنما تقدم لأنه يدرب أبناءه على التفكير المبدع غير التقليدي الذي يأتي بحلول غريبة لا يتوقعها أحد، ولكنها تثبت صحتها بمرور الأيام وبعدها يسير وراءها التقليديون الكسالى.

١١- لا بد من الأخذ بالأسباب بالرغم من نبوءة الرسول بالنصر

لماذا لم يترك المسلمون المعركة أو على الأقل توقفوا عن حفر الخندق الشاق المضني بعد أن سمعوا نبوءة النبي بفتح بلاد فارس وبلاد الروم، بل لم يفكر المسلمون في ذلك أيضاً..لأن الإسلام علم متوازن للحياة يأمر بالأخذ بالأسباب، والنجاح لا يتحقق في الدنيا إلا بالجهد والتعب والمشقة.

١٢- الإسلام دين حياة متوازن، ولا يجب أن تطغى العبادة على الجوانب الأخرى

أخذ سلمان على أبى الدرداء مبالغته في العبادة وإهمال بيته وزوجته وعندما علم الرسول بذلك أيده في رأيه..

إن العبادة ركن مهم وخطير في الإسلام ولكننا لا بد أن نفهم دوره، إنه يعطينا الطاقة الإيمانية التي نستطيع أن نتحرك بها لتطبيق الإسلام في حياتنا من معاملات مع الوالدين والأصدقاء والناس، ومن اجتهاد في المذاكرة للنجاح، ومن إتقان في العمل، فالعبادة جعلت لنتطلق بها في آفاق المجتمع وليس للانغلاق بها بين أربع جدران.

١٣- التواضع يحمى الإنسان من الغرور ويزيده عزاً أمام الناس

كان سلمان يخشى الغرور الذى يهاجم النفس فيدمرها ويشقيها، فكان يلزم نفسه دائماً بالتواضع فيدخل المدائن وهو على بغلة فينبهر أهل فارس المترفين بالحاكم الجديد الذي طالما سمعوا عن صولاته وجولاته..

إنه التواضع الذي يريده الإسلام، تواضع من غير ذلة ولا مسكنة، تواضع التبسط مع الناس وعدم التعالي عليهم وحب خدمتهم والاستماع إليهم ومشاورتهم..

هنا يصبح التواضع دافعاً لحب الناس.. وسيكافئك الله على تواضعك بالعزة والشموخ أمام الناس.

*****

obeikandl.com

الخبير

عن قصة (حذيفة بن اليمان)

" إلى أين يا حذيفة ؟ "

انتبه حذيفة فجأة من أثر صوت صدر من جانبه هو ووالده (حسيل بن جابر) وهما يسيران في صحراء الجزيرة العربية في سفر خارج المدينة قبل ساعات من غزوة بدر.. وأخذ صاحب الصوت يقترب منه وهو يتابع:

إذن صحيحا ما سمعناه..

قال حذيفة وهو يحاول أن يخفى ارتباكه:

أي شيء سمعته يا رجل..نحن ذاهبان إلى المدينة.. إلى أهلنا هناك..

نظر إليه أبو جهل وحوله أصحابه وهو ينظر إليه نظرة ثاقبة:

بل تذهبان إلى محمد وأصحابه يا حذيفة.. ألم تصبحا مسلمين ؟

رد حذيفة في غضب:

نذهب إلى من نذهب إليه.. لا شأن لكم بنا..

قال أبو جهل مهدداً:

لن تذهبا إلى محمد.. نحن نأسركما ونمنعكما

ثم نظر إلى حسيل بخبث وهو يتابع:

أهل المقتول لا زالوا يبحثون عنك يا حسيل..وأنت الآن في أيدينا

وتابع مستطرداً:

إلا إذا عاهدتمانا.

نظر حذيفة وأبوه كل منهما إلى الآخر وقد بدا على وجهيهما الغموض، ثم نطق حذيفة مستفهماً في ضيق:

نعاهدكم؟نعاهدكم على أي شيء..؟!

إذا قاتلنا محمداً.. فلا تقاتلا معه ضدنا..

هتف الأب وهو يمسك بيد حذيفة قبل أن يهم بالكلام:

اتفقنا.. لا نحارب معه إذا حاربتموه..

obeikandi.com

ترك جمع الكفار حذيفة وأباه يواصلان السير بعد عقد الاتفاق فيما بينهم، بينما ظهر الضيق على حذيفة وهو يحدث والده قائلاً:

ما الذي قلته يا أبى.. أنذهب إلى رسول الله، ثم نقول له،عفواً.. فبعد أن أسلمنا وعاهدناك على حمايتك ونصرتك.. لن نستطيع أن نحارب معك ؟!

لقد تسرعت يا أبى.. تسرعت..

قال الأب بصوت خفيض يدعو إلى التفكير:

لو لم نفعل ذلك لما تركونا.. أردت أن أمرر الموقف ثم نعرض الأمر بتفاصيله على الرسول وليحكم بما شاء.

تنهد حذيفة وهو ينظر إلى أبيه قائلاً:

وليكن.. فلنعرض الأمر على رسول الله.

وواصل حذيفة وأبوه السير إلى أن وصلا إلى المدينة ليكونا بين يدي رسول الله ثم يعرضان عليه الأمر وينتظران أمره..

وكم كان الرسول عظيماً عندما أمرهما بالوفاء للمشركين بالوعد وعدم مشاركتهما في حربه مع الكفار قائلاً:

"نفى بعهدهم، ونستعين بالله عليهم"

يا لعظمة الإسلام..

ما الذي جعل مسلمين لم يتذوقا حلاوة أول جهاد في سبيل الله، ولم ينالا شرف الجهاد مع رسول الله..

ما الذى جعل مسلمين يعنيان بعهد لمشركين أعداء لهما وللرسول وللدعوة في موقف كانوا مكرهين فيه على أخذ العهد..

الذي دفعهم إلى ذلك..

الأخلاق..

رسالة الإسلام السامية التي جاء الرسول من أجلها..أليس هو القائل "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

ولقد كان الوفاء بالوعد أحد مكارم الأخلاق التي تمتعت بها الجاهلية..أفيأتي الرسول ليهدمها..

لا..حتى وإن كانت من أجل الجهاد ضد أعداء الله..

obeikandl.com

بالتأكيد حزن حذيفة وأبوه لأنهما لم يشاركا في غزوة بدر..درة الجهاد في سبيل الله..

لكنهما – وبالتأكيد- كانا يعلمان تمام العلم، أن الثمن كان تعليم الأجيال تلو الأجيال، أن المبادئ أهم وأبقى من أي شيء..وأن الرسالة التي لا يخدشها شيء..لهى أبقى وأنفع للناس ولو مرت عليها آلاف السنين.

لم يشاركا في بدر..لكنهما أدركا الجهاد في أحد..

وكم كان هذا اليوم شديداً على حذيفة..

لم يكن بسبب هزيمة المسلمين بعد نصرهم..

وإنما للأذى الذي لحق بالرسول ﷺ واستشهاد سبعين من الصحابة..

وأيضا..لأنه قد شهد مصرع أبيه أمام عينيه والسيوف تتساقط عليه ويا للأسف..

بأيد مسلمة..

نعم بأيد مسلمة..

فلقد انهال المسلمون عليه خطأً ظناً منهم أنه من المشركين، فما إن لمح حذيفة المشهد حتى أخذ يصرخ: توقفوا..إنه أبى..أبى..

لكن الكلمات كانت قد تأخرت، وعندما توقفت السيوف وسط ذهول من ضربوا أبا حذيفة كانت روحه قد صعدت إلى بارئها..

وكم كان الموقف عصيباً على الجميع..

ألا يكفى ما فيه المسلمون من كرب وهم ومصيبة وبلاء..

أيقتل أحدهم عن طريق الخطأ..

كان حذيفة حزيناً حزن ابن على وفاة أب أحبه، وحزن صديق قطعا معاً طريقهما إلى الله..

ولكنه رغم تأثره.. كان يقدر الموقف ويلتمس العذر لقاتلي أبيه بطريق الخطأ..

وعندما علم الرسول بالموقف..أمر بأخذ الدية..

فما كان من حذيفة إلا أن أخذها ووزعها على فقراء المسلمين..

عندها نظر الرسول إلى حذيفة، فوجده رجلاً صابراً محتسباً نقى النفس عاقلاً حكيماً..

فازداد قدره عنده..واعتزازه به..

وكان موقفه معه يوم الخندق لا ينسى..

obeikandl.com

قرابة شهر.. وأحزاب الكفر المتجمعة حول المسلمين تضرب حصاراً شديداً عليهم، لقد اشتد الجوع وزاد الخوف وزلزل المسلمون خصوصاً بعد موقف بني قريظة ونقضهم العهد مع الرسول..

إلا أن شيئا كان قد طمأن الرسول بعض الشيء..

فلقد قام الرسول بعملية التجسس الأولى والتي قام بها العميل الماهر نعيم بن مسعود بعد أن أبلغ الرسول بإسلامه دون أن يعلم قومه قبيلة أشجع، وهي إحدى القبائل التي كانت تحاصر الخندق، واستغل الرسول بذكائه الحاد هذا الموقف ليفك شفرة الحصار بعد أن وصل الأمر إلى طريق مسدود، ونجح نعيم بن مسعود بالفعل في أن يوقع بين قريش وبني قريظة..

أراد الرسول بعدها أن يتابع تطورات الموقف بعدما نجح نعيم بن مسعود في الوقيعة بين اليهود وكفار قريش ويفض التحالف بينهما.. وكان الأمر يتطلب عملية تجسس أخرى غاية في الخطورة وتتطلب شخصاً ذو مهارات فذة ونادرة..

لقد أراد الرسول أن يتسلل أحد المسلمين بين صفوف قريش ويسمع ما يدور وينقل الأخبار للرسول....

مهمة في غاية الخطورة جاءت في وقت عصيب على المسلمين،فلقد كانت ليلة مظلمة ظلاماً رهيباً، وكانت العواصف من شدتها تصدر أصوات مرعبة وكأنها تريد أن تقتلع الجبال وقلوب البشر..

في هذا الموقف العصيب يقف الرسول ويطلب من المسلمين ما لا ينتظره أحد..

ينادى الرسول: من يذهب فيأتيني بخبر القوم؟"

إن الرسول ﷺ يريد رجلاً يذهب إلى معسكر الأعداء..

سمع الجميع نداء الرسول..سمعوه جيداً..ولكن لم يجب أحد..

ألهذه الدرجة كان الموقف مرعباً..

ربما لن نستطيع أن نصف الليلة بكلمات أكثر من أن نقول إن بين من سمعوا نداء الرسول..أبو بكر الصديق و عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب والعشرات من خيرة الصحابة..

أتصف كلمات أكثر من هذا..

بل إن الرسول كرر النداء بوعد صريح يزيل الخوف والرهبة ويلبى طلب الرسول وينزل الشرف بصاحبه الشجاع فيقول..

من يذهب فيأتينى بخبر القوم وهو رفيقي في الجنة ؟..

ويأتي الرد مفاجأة للجميع وللرسول نفسه..

الصمت..

ويحاول الرسول مرة أخرى..

من يذهب فيأتيني بخبر القوم وأضمن له العودة وأضمن له الجنة ؟

ليس من المعقول ألا يرد أحد..وليس من المنطق أن لا يرفع الجميع أيديهم ليفوزوا بالجنة بوعد الرسول في ليلته..

لكن هذا ما حدث فعلا..ولم يرد أحد..

ماذا يجرى..ماذا يحدث.. أوصل الأمر إلى هذا الحد..

وهنا يلجأ القائد العسكري إلى القرار الأخير والحاسم والاختيار بالأمر..

ولكن من يختار..

إنه يريد رجلاً ذو شجاعة نادرة وبديهة سريعة و اتزان وروية غير متهور خفيف الحركة يستطيع أن يضبط أعصابه يمثل الخداع والمكر بصورة لا تكشفه..

يا ترى من هذا الرجل..

"قم ياحذيفة"..

قالها النبي آمراً أمر قائد عسكري لا يرد..

سمع حذيفة اسمه ينادى عليه الرسول، ففوجئ وارتبك..إلا أنه لم يجد مفراً من تنفيذ الأمر..

فذهب إلى الرسول ليشرح له طبيعة المهمة ويتلقى التعليمات الخاصة بشأنها..

وكانت تعليماته ﷺ لحذيفة:" ألا تحدث فيهم أمراً.

لا تقم بأي فعل فيهم يا حذيفة مهما أتيحت لك من فرص.

وما إن ترك أبو حذيفة المكان حتى شعر بالدفء يسرى في جسده وكأن الله أراد أن يلقى في نفسه الطمأنينة قبل أن يخترق معسكر الأعداء وحده..

وعبر حذيفة الخندق وأخذ يتسلل إلى معسكر قريش وحلفائها..وما إن تمكن حذيفة من الاقتراب من المعسكر حتى نظر فوجد أبو سفيان على فرسه..

يا لها من فرصة ذهبية للتخلص من أبى سفيان.. بل يا لـه مـن شـرف لمـن يقـوم بهـذا العمل..

هكذا حدث حذيفة نفسه..كان برمية قوس واحدة يستطيع أن يقضى على أبى سـفيان ويخلخل الجيش ويربك حساباته..

ولقد هم فعلاً.. لكنه تراجع.فلقد تذكر أمر الرسول..(يا حذيفة لا تحدث فيهم أمراً)..

تراجع حذيفة عـن فكرتـه وسمـع أبـا سـفيان وهـو يـدعو إلى اجتمـاع لقادتـه ليـدلى بتصريحات بدا أنها في غاية الخطورة...

فقبل أن يهم أبو سفيان بالكلام.. نبـه رجالـه إلى أن عيـون وجواسـيس المسلمين ربمـا ينتشرون بينهم في هذا الظلام الدامس، فدعا كل رجل في اجتماع القادة أن يسأل عـن اسـم من يجلس بجواره قبل أن يبدأ الكلام..

وبسرعة بديهة يحسد عليها.. سأل حذيفة من عن يمينه: من أنت ؟: ليرد داهية العـرب: أنا عمرو بن العاص وبسرعة يسأل من عن يساره..من أنت؟ ليرد داهية آخر: أنا معاوية بـن أبى سفيان..

ياه.. ثوان معدودة كانت تفصل بين نجاح العملية وفشلها..

ثوان معدودة كانت تفصل بين حياة حذيفة وقتله..

نجح حذيفة في الاختبار الأول وبدأ الاجتماع ليسمع حذيفة كلاما لا يصدق نفسه وهو يسمعه..

لقد أمر أبو سفيان بالانسحاب..

أخيراً انفرج الكرب وأتى نصر الله بعد قرابة شهر من المعاناة والتوتر والخيانـة والجـوع والألم والخوف...

وعاد حذيفة يزف البشرى إلى الرسول والمسلمين، ليرتفع مقام حذيفة عند الـنبي أعلـى وأعلى ويؤكد حذيفة له أن اختياره كان صحيحاً..

ويقرر الرسول أن يخص حذيفة بسر خطير ائتمنه عليه دون غيره إلى يوم القيامة..

لقد أخبر الرسول حذيفة بأسماء المنافقين.. ثم طلـب منـه ألا يخـبر أحـداً بأسمـائهم.. مهما كان الأمر..

يا لها من ثقة غالية يستحقها حذيفة..

لقد امتاز حذيفة بمزية تفرد بها حتى مماته وأصبح بها محط أنظار كل الخلفاء الراشدين في عهده.. إنهم يريدون أن يتأكدوا من اختياراتهم في مواقع المسئوليات هل هي صحيحة أم

لا، حتى عمر بن الخطاب الذكي اللماح كان يستشير حذيفة كثيراً في حكمه على أشخاص بعينهم، حتى إنه سأله يوماً هل هناك أحد من مسئوليه منافق، فأجابه حذيفة: نعم..

فقال له عمر: من هو.. سمه لي يا حذيفة

ورغم خطورة الأمر إلا أن حذيفة لم يخبر عمراً باسمه وألح عمر في الطلب وأصر حذيفة على كتمان سر ائتمنه عليه رسول الله حتى ولو بعد عشرين عاماً من وفاته..

إلا أن عمر بن الخطاب لم يستسلم وأخذ يفكر ويقلب الشخصيات والمواقف في رأسه حتى هداه الله إليه واتخذ قراراً بعزله.

ترى ما قيمة شخص يعرف سراً لا يعرفه أحد على وجه الأرض..

ترى ما قيمة شخص يستطيع أن يحدد بينه وبين نفسه هل هذا الرجل منافق أم لا..

لم يكن عمر بن الخطاب يذهب إلى جنازة أي من المسلمين توفى في المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ إلا بعد أن يسأل: أذهب حذيفة إلى الجنازة فإن قالوا نعم ذهب وإن قالوا لا لم يذهب..

إن حضور حذيفة الجنازة من عدمه دليل على نفاق من مات من عدمه.. فلقد توصل عمر إلى هذا مستدلاً بحكم شرعي وهو أنه لا تجوز الصلاة على منافق..

و لقد بلغ تعلق عمر بسر بحذيفة إلى أنه سأله سؤالاً عجيباً غريباً مدهشاً لحذيفة نفسه قائلا:

أستحلفك بالله يا حذيفة هل سماني رسول الله من المنافقين؟

اندهش حذيفة لسؤال عمر ورد عليه وهو يبتسم:

ما تقول يا عمر..دعك من هذا..

ويلح عمر:

أستحلفك بالله يا حذيفة...أسماني رسول الله من المنافقين..

قال حذيفة مطمئنا عمر: لا يا عمر.

أخيراً اطمأن عمر بن الخطاب أنه ليس من المنافقين !!!!!

يا الله .. عمر بن الخطاب يشك في نفسه..أتراها دلالة على إيمان عمر..

أم دلالة على نقص إيماننا..

لم تكن ثقة عمر والصحابة في حذيفة من فراغ، فلقد أثبت حذيفة طيلة مسيرته معهم أنه خبير بالنفوس، وأنه على دراية بالخداع والمكر وعلم بالشر والأشرار..

obeikandl.com

كان أول من لمح تلك القدرة في حذيفة هو الرسول ﷺ.. وكان هذا أحد الأسباب القوية التي جعلت الرسول يختاره يوماً ليقوم بمهمة التجسس الخطيرة في غزوة الأحزاب..

ولقد رأى الرسول ذلك في حذيفة، لأن حذيفة- وعلى خلاف الصحابة - كان يسأل النبي كثيراً عن الشر ليدرسه ويتقيه. ويعرف نفسية الأشرار فيحمى نفسه ويحمى الإسلام منهم.. ولقد ظهر الأمر في حذيفة بعد ذلك كموهبة متفردة يستطيع بها حذيفة أن يدرس النفوس ويحكم على الأشخاص.

..يقول حذيفة: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة يدركني.. قلت: يا رسول الله فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم.. قلت: فهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن.. قلت: وما دخنه..؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي.. ويهتدون بغير هديي ، وتعرف منهم وتنكر.. قلت: وهل بعد ذلك الخير من شر..؟ قال: نعم! دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها.. قلت: يا رسول الله، فما تأمرني إن أدركني ذلك..؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام..؟؟

قال: تعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"..!!

وكان حذيفة على موعد مع التفوق العسكري والفتوح الإسلامية...

فلقد كان ثالث ثلاثة، أو خامس خمسة كانوا أصحاب السبق العظيم في فتوح العراق جميعها..!

وفي معركة نهاوند العظمى،.. احتشد الفرس في مائة ألف مقاتل وخمسين ألفا.. اختار عمر لقيادة الجيوش المسلمة النعمان بن مقرّن ثم كتب إلى حذيفة أن يسير إليه على رأس جيش من الكوفة..

وأرسل عمر إلى المقاتلين كتابه يقول:

"إذا اجتمع المسلمون فليكن على كل جيش أميره.. وليكن أمير الجيوش جميعها النعمان بن مقرّن..

فإذا استشهد النعمان، فليأخذ الراية حذيفة، فإذا استشهد فجرير بن عبدالله..

وهكذا مضى أمير المؤمنين يختار قوّاد المعركة حتى سمّى منهم سبعاً... والتقى الجيشان..

الفرس في مائة ألف وخمسين ألفا..والمسلمون في ثلاثين ألفا لا غير...

وينشب قتال يفوق كل تصور ونظير ودارت معركة من أشد معارك التاريخ فدائية وعنفا..

وسقط قائد المسلمين قتيلاً، سقط النعمان بن مقرّن، وقبل أن تهوي الراية المسلمة إلى الأرض كان القائد الجديد قد تسلمها بيمينه، وساق بها رياح النصر في استبسال عظيم... ولم يكن هذا القائد سوى حذيفة بن اليمان...

حمل الراية من فوره، وأوصى بألا يذاع نبأ موت النعمان حتى تنجلي المعركة.. ودعا نعيم بن مقرن فجعله مكان أخيه النعمان تكريما له..

أنجزت المهمة في لحظات والقتال يدور.. ثم انثنى كالإعصار المدمر على صفوف الفرس صائحاً:

"الله أكبر صدق وعده!!

الله أكبر نصر جنده!!"

ثم لوي زمام فرسه صوب المقاتلين في جيوشه ونادى: يا أتباع محمد.. هاهي ذي جنان الله تتهيأ لاستقبالكم فلا تطيلوا عليها الانتظار..

هيا يا رجال بدر..

تقدموا يا أبطال الخندق وأحد وتبوك..

لقد احتفظ حذيفة بكل حماسة المعركة وأشواقها، إن لم يكن قد زاد منها وفيها..

وانتهى القتال بهزيمة ساحقة للفرس.. هزيمة لا نكاد نجد لها نظيراً..!!

فلقد قتل في هذه المعركة ما يزيد عن ثمانين ألفاً من الفرس.

ويستقر المسلمون في المدائن، فيصابون بالأمراض من مناخ المدينة القاسي حتى يشعر سعد بن أبي وقاص بالخطر على حياة المسلمين فيكتب لعمر يخبره بالأمر، فيشير عليه عمر ابن الخطاب بالبحث عن مكان أفضل أكثر أماناً وصحة للمسلمين.. وفكر سعد في الشخص الذي يقوم بمهمة البحث عن المكان الجديد.. فكان ذلك الشخص هو حذيفة أيضا..

ولقد عود حذيفة أصحابه أنه إذا وقع عليه الاختيار في أمر فلن يخيب رجاءهم..وقد كان..فلقد اختار حذيفة مدينة الكوفة وأشار على سعد بها فوافق ونزل المسلمون بها، لتتحسن صحتهم وترتد عافيتهم.. وبعد أن كانت صحراء مرملة قام المسلمون بتعميرها لتصبح مدينة عامرة حديثة جميلة.

هكذا المسلمون أهل دنيا وأهل آخرة..

وهذا ما كان يقوله حذيفة:

"ليس خياركم الذين يتركون الدنيا للآخرة.. ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا.. ولكن الذين يأخذون من هذه ومن هذه"...

وعندما ولاه عمر حاكماً على المدائن..أذهل أهل الفرس المنعمين المترفين.. فلقد خرج أهل المدائن أفواجا يستقبلون واليهم الجديد الذي اختاره لهم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه..

خرجوا تسبقهم أشواقهم إلى هذا الصحابي الجليل الذي سمعوا الكثير عن ورعه وتقاه.. وسمعوا أكثر عن بلائه العظيم في فتوحات العراق..

وإذ هم ينتظرون الموكب الوافد، أبصروا أمامهم رجلا مضيئا، يركب على حمار وقد أسدل الرجل ساقيه، وأمسك بكلتا يديه رغيفا وملحا، وهو يأكل ويمضغ طعامه..!

وحين رآهم يحدّقون فيه كأنهم ينتظرون منه حديثا، ألقى على وجوههم نظرة فاحصة ثم قال:

"إياكم ومواقف الفتن"..!!

قالوا: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله..!! قال: "أبواب الأمراء"..

"يدخل أحدكم على الوالي أو الأمير، فيصدقه بالكذب، ويمتدحه بما ليس فيه"..!

يا لها من بداية عجيبة..أهذا أول تصريح يدلى به حاكم المدينة لأهلها..ما هذا الإيمان وهذا الإخلاص وهذا الزهد في الدنيا وهى بين يديه..إنه يحذر أهل المدينة ألا ينافقوه ويكذبوا عليه لإرضائه فيضيع ويضيعون..

إنه يقول لهم لا تصفقوا لي ولا تألهونى وتتغافلوا عن أخطائي إذا أخطأت...

أعرفتم لماذا ساد المسلمون العالم في عهد حذيفة وعمر ولماذا تزيلنا العالم الآن..

ببساطة..هم كانوا يتكلمون بالإسلام ويطبقونه..

ونحن نتكلم بالإسلام ولا نطبقه

حقاً يا حذيفة.. إنك لعدو النفاق والمنافقين..

إنه لا زال يكتم سر الرسول..لكنه يعي الدرس فيدرسه ويعلمه للرعية وللأمة كلها..

وعندما سأله عمر عن معنى النفاق قال له رأياً سديداً بسيطاً عميقاً مرعباً مفجعاً لاذعاً:

"النفاق .. أن تتكلم الإسلام ولا تعمل به".

أليس هذا التعريف مرعباً لك..

ولكنه لم يكن على علم بأسماء المنافقين فقط..فلقد كان على علم بالفتن أيضا.. الفتن كلها.. وكان سراً جديداً استودعه الرسول إياه..

يقول حذيفة: "ما من فتنة كائنة إلى يوم القيامة إلا وأنا على علم بها"

سر جديد غاية في الخطورة

وفى مجلس تاريخي جمع عمر وحذيفة وعدداً من الصحابة قال عمر لحذيفة:

"يا حذيفة..حدثني عن الفتن..

فقال حذيفة:

ومالك أنت ومال الفتن يا أمير المؤمنين..إن بينك وبين الفتنة باباً مسدوداً يا عمر لا يفتح حتى تموت..فقال عمر فإن أنا مت يا حذيفة.. قال: لا يعود مسدوداً: فقال عمر يا حذيفة: أيفتح الباب أم يكسر ؟..قال حذيفة: بل يكسر.فقال عمر: إذن لا يعود إلى مكانه أبداً..

قال حذيفة: تموت فيفتح باب الفتن فلا يسد إلى يوم القيامة

ويخرج عمر حزينا فيسأل الصحابة حذيفة يريدون فهم ما جرى من حوار..فيقول حذيفة:

الباب..عمر بن الخطاب..فإذا مات عمر..فانتظروا الفتن.

وفي عهد على بن أبى طالب تبدأ كارثة الفتنة الكبرى بينه وبين معاوية بن أبى سفيان..لينسحب حذيفة من الحياة بعد أربعين يوما من خلافة على ليرتحل إلى أرض جديدة. في أحد أيام العام الهجري السادس والثلاثين..

وإذ هو يتهيأ للرحلة الأخيرة دخل عليه بعض أصحابه، فسألهم:

أجئتم معكم بأكفان..؟؟

قالوا: نعم.. قال: أرونيها.. فلما رآها، وجدها جديدة فارهة.. فارتسمت على شفتيه آخر بسماته الساخرة، وقال لهم: "ما هذا لي بكفن.. إنما يكفيني لفافتان بيضاوان ليس معهما قميص.. فإني لن أترك في القبر إلا قليلا، حتى أبدّل خيراً منهما... أو شرّ منهما"..!! وتمتم بكلمات، ألقى الجالسون أسماعهم فسمعوها: "مرحبا بالموت..حبيب جاء على شوق.. لا أفلح من ندم".. رحمك الله يا حذيفة.. أنبأتنا بالفتن..وتركتها لنا.. ادع لنا أن نصبر عليها حتى نلقى الله.. ونلقاك.

تحليل ودروس

١- الوفاء بالوعد وإن كان لكافر وفي وقت الحرب

مهما قيل عن الوفاء بالوعد، فلن تجد مثالاً أقوى وأفضل من وفاء حذيفة وحسيل لعهدهما مع المشركين قبيل غزوة بدر، ولقد كان ذلك بأمر الرسول ﷺ، واعتقد أنه أمراً أدهش حذيفة وحسيل وربما أدهشنا نحن أيضاً، فالرجلان أبرما ذلك الوعد كحيلة للهروب من أسر المشركين وكان توقعهما أن يوافقهما الرسول على أنها شبه حيلة حربية لا تلزمهما بالوفاء بوعدهما وعدم الاشتراك في غزوة بدر ولكن جاء أمر الرسول ليقرر أمرين:

الأول- أن الوفاء بالوعد قيمة عظيمة يجب الحفاظ عليها في أشد الظروف، فالوفاء بالوعد صدق ورجولة وعدم الوفاء به غدر وخيانة وكذب ونفاق..وكان أشد ما يحافظ عليه الرسول هو الركن الأخلاقي عند المسلمين مهما كانت التضحيات في سبيل ذلك.

الثاني- أن الوفاء بالوعد فرض على المسلمين وإن كان لكافر، ولن يكون الوعد لمسيحي أو يهودي وكافر ذريعة لنقض العهد أبداً، فالأخلاق لا تتجزأ ورسالة الإسلام رسالة أخلاقية قبل كل شيء.وهى رسالة لمسلمي هذا العصر الذين ينقضون العهد لأتفه الأسباب كالكسل ومشاهدة التليفزيون والنوم...إلخ. إن الوعد مسئولية لا يوفيها إلا الرجال.

٢- حسن تقدير المواقف والظروف.. والتسامح والرحمة رغم شدة الإيذاء.. والصبر والإيمان يحتاجان دائماً إلى دليل

تظهر حكمة الإنسان ساعة الشدة وعند المصيبة ووقت الغضب..والغضب والمصيبة أحدهما كفيل بأن يصيب الواحد منا بالعصبية والتذمر، ولقد اجتمعا الاثنان على حذيفة، فمن يصبر أو يتحمل أن يقتل أبوه عن طريق الخطأ وبيد أصدقائه، وكيف يقدر على مسامحتهم وإن سامحهم فكيف يستطيع معاشرتهم بعد ذلك والنظر إلى وجههم، مع الأخذ في الاعتبار العلاقة القوية التي كانت بين حذيفة وأبيه، إلا أن حذيفة ضرب مثالاً نادراً لشخصية نادرة تغلبت حكمته على غضبه وتغلب صبره وإيمانه على مصيبته، فسامح من قتلوه ودعا لهم بالمغفرة، بل إنه لم يكتف بذلك، بل تصدق بالدية التي جمعها له المسلمون بأمر الرسول في إشارة لقمة التسامح (قد يكون قد وصل بعض من الصدق لأحد قاتلي أبيه) ودليل قوى على الصبر والإيمان.

إن هذا الدرس يحتاجه بشدة شباب اليوم سريع الغضب والثورة قليل الصبر والحكمة شحيح التسامح والرحمة.. فليكن حذيفة قدوة لنا.

٣- عندما تنفذ الأسباب وتظن أن الأبواب أغلقت تتنزل إغاثة الله

الله لا يخذل الناجحين المجتهدين المتوكلين عليه أبدا، وفى غزوة الخندق اجتهد المسلمون وبذلوا كل ما في وسعهم ولكن الأزمة مازالت قائمة والمسلمون محاصرون ووصلت الأزمة إلى مداها بعد نقض بني قريظة عهدهم للنبي وتهديدهم للمسلمين من ظهورهم، والرسول يحاول بشتى الطرق أن يهدئ المسلمين ويقلل من توترهم، يبعث الله نعيم بن مسعود مسلماً يعرض خدماته على الرسول والمسلمين، وينتهز الرسول الفرصة ويستفيد منها أفضل استفادة، فيبعثه بحيلة تفرق اليهود والمشركين وتكون سبباً في انسحاب الأحزاب.

إن النصر ليس من عند البشر والنجاح ليس ملكاً للمجتهدين وإذا أراد الله نصر أمة أو نجاح شخص لفعل دون جهد، ولكن الدنيا تركت لأسبابها والله لا يؤتى النصر ويهب النجاح إلا لمن أخذ بالأسباب وتوكل على الله فإذا أتى النصر أو النجاح علم أنه من عند الله وبأمر الله وبتوفيق الله.

٤ - لماذا لم يتقدم عمر وأبو بكر وعلى وغيرهم من كبار الصحابة، عندما طلب الرسول أن يذهب أحد المسلمين إلى معسكر المشركين

لا يمكن أن نتصور أن الدافع وراء ذلك هو خوفهم على حياتهم وهم الذين باعوا حياتهم لله منذ زمن وتعرضوا لمواقف عصيبة أثبتوا فيها إيمانهم وإخلاصهم، ولكن التفسير الأقرب للمنطق هو خوفهم من الفشل في المهمة وتقديرهم أن الفشل فيها قد يسبب تأزماً في موقف المسلمين أكثر مما هو متأزم.. ففضلوا عدم المغامرة في انتظار ما سيسفر عنه قرار الرسول.

٥- عدم التشهير بالغير حتى وإن كانوا من المنافقين

تعد الفضائح والتشهير بالناس أحد الوجبات اليومية للصحف العربية،وأصبح حديث الفضائح بين العامة حديثا عادياً ممتعاً، إن حديث الفضائح إن كان صحيحاً ينشر الفساد والرذيلة ويحطم الأخلاق وإن كان كاذباً يدمر صاحبها نفسياً ويجعله منكسراً مخذولاً حتى وإن ثبتت براءته، ولقد أمر الله بكتمان أسماء المنافقين وعدم إذاعتها حتى لا يقضى نفسياً على هؤلاء الناس فيصبحوا في عداد الأموات وهم أحياء بين الناس فينالوا الأذى في كل نظرة وكل كلمة، وعند إعلان هذه الأسماء تكون قد سدت أبواب التوبة في وجوههم، ولكن مع كتمانها فإن باب الرجوع والتوبة مفتوح.

إن النميمة والخوض في أعراض الناس بالحق أو بالباطل لهو علامة من علامات تفاهة المجتمع وانعدام رسالته، وهما صفتان لا تليقان أبداً بمجتمع مسلم.

٦- كتمان السر أمانة وقوة نفس ومهارة.. وعدم كتمانه خيانة للأمانة.

كم مرة استأمننا أصدقاؤنا على سر وكم مرة أفشيناه، وفى كل مرة نفشيه نشعر أن بداخلنا ضغطاً هائلاً من سر محبوس لا نرتاح إلا بعد أن نطلق سراحه،ثم نبرر لأنفسنا الخطأ بأن نقول لمن نفشى إليه السر: إن هذا سر ولم أقله إلا لك وأرجوك ألا تقوله لأحد، وتستأمن أنت شخصاً آخر على سر ائتمنك صديقك عليه وتطلب منه نفس ما طلبه منك فلا تتعجب بعدها أن يفشى سرك كما أفشيت أنت سر صاحبك تحت تأثير نفس الضغوط ونفس الظروف وهكذا دواليك حتى يصبح السر ملكاً للجميع وربما يعود لصاحبه في إحدى مرات خيانة الأمانة..أمانة السر.

وحذيفة كان يستحق ثقة الرسول عندما حافظ على سر الرسول لأكثر من خمس وعشرين عاماً دون أن يصرح أو يلمح باسم واحد ورغم تعرضه لضغوط من رئيس الدولة عمر بن الخطاب وفى أمر مهم لأمير المؤمنين، فلقد كان يريد أن يتأكد من إخلاص من ولاهم حكاماً على المسلمين، لكنه لم يستسلم ولم يضعف أما الضغوط وكان هذا بعد وفاة الرسول بعشرين سنة..

ربما لا نتحمل أن نكتم سراً عشرين يوماً.

إن كتمان السر يحتاج إلى أمانة وإلى قوة نفس لا تستسلم لشهوة النفس بتفوق المعرفة أمام الآخرين وإلى مهارة وذكاء حتى لا يحاول من يريد معرفة السر أن يراوغك فيأخذ منك المعلومات دون أن تدرى.

خلق جديد ينقصنا.. ونحتاج إلى التدريب عليه.. يعلمه لنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

٧- الصحابة ليسوا رجال عبادة وحرب فقط بل أصحاب فكر تعمير ونهضة

يقع ظلم كبير على صحابة رسول الله بأنهم أهل عبادة وحرب فقط، وأنهم أبعد ما يكونون عن التفكير في سبل الحياة الكريمة، والحقيقة أن هذا الانطباع قد أخذ عن الصحابة لسببين:

الأول- أن المراحل الأول من عمر الإسلام كانت مهمتها بناء الإنسان من الداخل من بناء العقيدة السليمة و تقوية الصلة بالله والتدريب على حسن الخلق ورقى المعاملات، واضطر المسلمون إلى حروب ثلاثة في غضون ثلاث سنوات هي بدر والخندق وأحد، فكان طبيعياً أن ترتفع أسهم هذه الأحداث في كتابات هذه المرحلة، حيث كان للجهاد شأن كبير في الدفاع عن الإسلام واستمراره. فزاد التركيز الإعلامي على هذين المحورين محور العبادة ومحور الجهاد.

الثاني- قام التركيز من قبل الدعاة على الجانب التعبدي لحاجة الناس إليه وعلى الجانب الجهادي لتذكير الأمة بأمجادها في وقت تتعرض فيه أمة الإسلام لهزائم عسكرية متواصلة.

لكن موقف حذيفة عندما طلب سعد بن أبى وقاص منه البحث عن أرض جديدة ثم قيام المسلمين بتعمير الكوفة يدل على عملية البناء والتعمير متى سنحت الفرصة لذلك.. إن الإسلام دين جعل الحياة وسيلة للآخرة وهو دين يريد إسعاد البشرية ورحمتهم وهو دين نهضة وحضارة..

إننا بفكرتنا هذه عن الإسلام والصحابة.. نظلم الإسلام ونظلم الصحابة ونظلم أنفسنا.

٨- نحن في عصر فتن يجب علينا أن نواجهه لنحمى أنفسنا وأهلنا

حقيقة لابد أن تعترف بها.. نحن في عصر فتن.. بل نحن في عصر الفتن..فتن من كل نوع وفى كل الاتجاهات تغلغلت داخل الأسر وطالت كل الأعمار.

العرى أصبح فناً..

التدين أصبح تطرفاً..

الجهاد أصبح إرهاباً..

الرشوة أصبحت هدية..

النفاق أصبح وسيلة الوصول للمناصب..

الكذب أصبح شطارة..

إن علينا أن نتذكر الآية الكريمة في آل عمران..

فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز..

لقد أصبح الفوز أن نتقي النار.. قبل أن يكون الفوز أن ندخل الجنة..

احرص أن لا تكون سبباً في فتنة الآخرين.. وأن تتقي فتن الدنيا بالوسائل الآتية:

أ- الصحبة الصالحة. ب- العبادة .

جـ- الصبر. د- العمل. هـ- الدعاء.

obeikandi.com

أمين أمة محمد ﷺ

عن قصة أبى عبيدة بن الجراح

"يا كفرة..."

صرخ بها أبو عبيدة بن الجراح في وجه المشركين الذين يقاتلهم في معركة أحد... وتابع وهو ينظر للمسلمين المقاتلين من حوله في ثورة:

"احذروا يا مسلمين.. إنها مؤامرة لاغتيال الرسول"

لقد شعر أبو عبيدة من سير المعركة بعدما حدث ما حدث، وهاجمت فرقة خالد بن الوليد المسلمين من الخلف بعدما نزل الرماة من على الجبل، لا حظ أبو عبيدة أن عيون المشركين تبحث عن الرسول، تريد أن تقتله وتنهى بهذا الصراع المرير الذي لا يريد أن ينتهي، واستأسد أبو عبيدة فأخذ يقاتل المشركين بسيفه كأنه جيش بمفرده وعينه لا تزال تلمح رسول الله يخشى أن يصل إليه أحد أو يصيبه أذى..

كانت ضرورات المعركة تقتضى أن يتنقل من مكان إلى مكان..فيظل كذلك حتى إذا وجد نفسه قد ابتعد بعداً يقلقه على رسول الله، قام بتعديل موضعه ليقترب مرة أخرى من الرسول ليظل يراقبه ليحميه..

ولكن وقع المحظور..

سهم ينطلق من يد مشرك ليصيب رسول الله ﷺ ويسيل الدم منه.. فيجن جنون أبى عبيدة ويطير إلى رسول الله يغطيه بجسده ويمسح الدم من عليه قائلاً في غيظ:

"كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيّهم، وهو يدعوهم إلى ربهم"..؟

إلا أن الأذى لم يتوقف عن هذا الحد فلقد دخلت حلقتان من مغفر الرسول في وجنتيه فوجد الرسول يتألم فيضرب الألم في جسده كله، فهرع أبو بكر الصديق لينزع المغفر من وجنتي الرسول،فأوقفه أبو عبيدة قائلاً:

"أستحلفك بالله يا أبا بكر أن تتركني أنزعها من وجه رسول الله"

وأمام لهفة أبى عبيدة لم يجد أبو بكر بداً إلا أن يسمح لأبى عبيدة بذلك،وبقوة مغلفة بالحنان والحب اقترب أبو عبيدة بأسنانه ليقبض على إحدى المغفرين فيخلعه وتنخلع معه السنة الوسطى من أسنانه (ثنية) ومع المغفر الآخر تسقط الثنية الأخرى من أسنانه..

ويهدأ أبو عبيدة بعض الشيء بعد أن نجح في تخفيف بعض الألم عن رسول الله..

لم يكن الألم الذي أصاب أبا عبيدة بعد أن كسرت ثنيتاه يعنيه في شيء ، بل الـذي كـان يحز في نفسه ألم رجل أحبه بكل جوارحه وأراد بصدق أن يكون فداه..

ولم يفكر بعدها فيما أصاب شكل وجهه بعـد أن كـسرت ثنيتـاه، كـان فقـط مـا يقلقـه جروح أصابت وجه حبيبه..

ولو اهتم أبو عبيدة بالمسألة..لعرف أنه قد ازداد جمالاً ووسامة بعد سقوط ثنيتيه..

وربما كان هو الأهتم الوحيد الجميل على وجه الأرض..

هو لم يطلب ذلك..ولم يكن يهمه ذلك..لكنها كانت مكافأة بسيطة من الله علـى سـبقه للتضحية في سبيل الله ورسوله..

بعدها نال أبو عبيدة من تقدير الرسول وحبه ما حسده عليه واحد من خيرة الصحابة.. عمر بن الخطاب رضي الله عنه..

فلن ينسى أبو عبيدة حين أمسكه رسول الله بيمينه قائلاً:

"إن لكل أمة أميناً.. وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرّاح"..

ترى هل صدق أبو عبيدة أذنه عندما سمع هذا التصريح التاريخي..

ترى هل طار أبو عبيدة فرحاً وفخراً بلقب شريف من أشرف خلق الله..

أم تراه انزعج واقشعر من هول المسئولية الملقاة على عاتقه..

فلقد كان الصحابة أذكى من أن ينبهروا بلقب رنان دونما إجراء حسابات دقيقة لحجـم مسئولياته وتبعاته...

ويا له من لقب جميل..

ويا له من لقب مفزع خطير..

أمين على الأمة ؟؟!!

ليس أمينا على مجموعة من الصحابة ..أو مؤسسة تربوية.. أو مدينة بأكملها...

بل أمينا على الأمة كلها..

يا لها من مسئولية وشرف أثبت أبو عبيدة في كل مواقفه في حياة الرسول وبعد وفاته أنه يستحق الشرف بقدر المسئولية..

كانت ثقة الرسول فيه بلا حدود..

obeikandl.com

كان الرسول قد أرسل خطاباً إلى وفد يسمى وفد نجران في اليمن يدعوهم فيه إلى الإسلام، فاستجاب الوفد وسافر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وطلبوا منه أن يرسل معهم مرشدا ومعلماً يعلمهم القرآن والسنة وتعاليم الإسلام..

نظر الرسول إلى الصحابة الذين كانوا يحضرون اجتماع الرسول مع وفد نجران وهو يقول:

" لأبعثن معكم رجلاً أميناً، حق أمين، حق أمين.. حق أمين"..!!

سمع الصحابة ذلك الثناء على مرشد وفد نجران، فتمنى كل واحد منهم أن يقع عليه الاختيار ليفوز بهذه الشهادة الغالية والوسام الرفيع، وأخذ بعض الصحابة يرفع رأسه لتقع عين الرسول عليه فيختاره أمينا..أمينا..أميناً..

حتى عمر بن الخطاب الذي كان يمتاز بالطول الفارع ..كان يتطاول أيضاً حتى يراه الرسول..!!!

إنه هو الذي قال ذلك:

"ما أحببت الإمارة قط، حبّي إياها يومئذ، رجاء أن أكون صاحبها، فرحت إلى الظهر مهجّرا، فلما صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر، سلم، ثم نظر عن يمينه، وعن يساره، فجعلت أتطاول له ليراني.."

لكن عمر لم يفز ولا غيره..

لقد فاز.. أبو عبيدة بن الجراح..ظل الرسول يدور بعينيه بين الصحابة فلما وقعت عليه دعاه وقال:

اخرج معهم، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه.. فذهب بها أبو عبيدة..!!

وفى غزوة ذات السلاسل علم الرسول أن عمرو بن العاص كان في حاجة إلى مدد، فأرسل له جيشاً وجعل عليه أبو عبيدة قائداً، وقبل أن يرسله فطن الرسول بخبرته بنفوس البشر بأن الموقف سيشهد قائدين في أرض المعركة، وربما يحدث هذا خلافاً بين أبى عبيدة وعمرو فيحدث شقاق قد يؤدى بالجيش إلى الهزيمة..

فكان أمر الرسول ونصيحته لأبى عبيدة أن قال له:

لا تختلفا..

إن الرسول يعلم أنه يحدث أمينا لن يخونه أبداً..

وعندما وصل أبو عبيدة بجيشه كاد أن يختلف هو وعمرو على من يتولى إمارة الجيش، لكنه تذكر وصية الرسول فتنازل عن رأيه لتتوحد الكلمة وينتصر المسلمون..

وفى ظروف غاية في القسوة وفي غزوة تسمى غزوة الخبط، استأمره الرسول على ثلاثمائة رجل ليس معه إلا التمر، كان الطريق طويلاً وشاقاً والتمر ينفد شيئا فشيئا حتى أصبح نصيب كل مقاتل في السرية تمرة واحدة..

لكن أبا عبيدة ومن معه كانوا لا يعرفون الاستسلام يوماً، فصمدوا.. حتى أنهم كانوا يأكلون ورق الشجر الذي كان يسمى بالخبط، حتى سميت السرية بسرية الخبط.. وما إن وصلوا إلى البحر حتى وجدوا حوتاً عظيماً، فأكل منه رجال السرية ثماني عشرة ليلة.

ولقد امتدت ثقة المسئولين بأبي عبيدة على امتداد عمره..ففي عهد الخليفة عمر بن الخطاب لن ينسى التاريخ ما فعله عمر وما فعله أبو عبيدة وأيضا ما فعله خالد بن الوليد..

فما أن استهل عمر بن الخطاب فترة حكمه حتى أصدر قراراً جريئاً وربما يكون غريباً لنا ولكل من علم به في ذلك الوقت..

فقد أصدر عمر قراراً بعزل خالد بن الوليد من قيادة الجيش وتعيين أبى عبيدة بن الجراح بدلاً منه..

والأغرب من ذلك أن يصدر عمر هذا القرار في أثناء قيادة خالد بن الوليد لمعركة قوية فاصلة مع الروم وهى معركة اليرموك.. وكان أبو عبيدة هو أحد القادة التابعين لخالد في المعركة..

وصل القرار إلى أبى عبيدة مع رسول عمر..

لابد أن نتوقف هنا قليلاً لنبحر في نفوس صافية طهرها الإسلام بمياه الإخلاص وأضاءها بنور الإيمان..

في الوضع العادي.. عندما يستقبل قائد ثان خبراً بتعيينه بدلاً من قائده، سيعتبر أن ما حدث انتصار عظيم له واعتراف بقيادته الماهرة وصفاته النادرة في عالم العسكرية، وهو شيء جدير أن يفتخر به وينشره بين جنود الجيش فردا فردا..

وفى الوضع العادي.. عندما يستقبل القائد الأعلى خبراً بعزله لصالح قائد تحته، فمن الطبيعي أن يسأل ويتساءل ويثور ويعترض وربما يقوده غضبه إلى حركة تمرد..

وفى الوضع العادي عند أصحاب محمد..لا يحدث هذا ولا ذاك..

إن إحساس أبى عبيدة الشديد بأمانته ومسئوليته تجاه دينه جعلته يستقبل الخبر بحذر شديد وبإشفاق شديد وخوف شديد.

بحذر شديد حتى لا يتسرب الخبر إلى الجيش أثناء المعركة فيصاب ببلبلة، أو إلى خالد فيصاب بارتباك وهما عاملان سيؤثران حتما على نتيجة المعركة..

وبإشفاق شديد.. لأنه شعر أن الخبر قد يؤلم خالدا وهو القائد الذي شهد الرسول له وشهد العالم كله له..

وبخوف شديد..حتى لا تتأثر العلاقة بينه وبين خالد من أثر هذا القرار.

ولذا..فقد أمر أبو عبيدة رسول عمر أن يخفى الخبر تماماً حتى تنتهي المعركة، وأنه سيقوم هو بإبلاغ القرار لأخيه خالد..

نعم أخوه..فلقد عرفا أن يكونا إخوة في الله أولا قبل أن يكونا قائدين أحدهما يقود الآخر..

أمين يا أبا عبيدة.. وخير أمين..

لقد انتصر خالد..وانتصر المسلمون..

عندها..ذهب أبو عبيدة إلى خالد بنفسه..ليس تشفياً – حاشا لله –ولكن إجلالاً لقائد عظيم مثل خالد، أن يبلغه هو بنفسه بدلاً من أن يبلغه رسول عمر..

فهل يثور خالد..

هل يحزن خالد..

لا..

بل يتعجب خالد..

لم يتعجب من عزله وتعيين أبى عبيدة بدلاً منه..

بل لتأخره كل هذا الوقت في إبلاغه الخبر.. فقال له متعجباً:

"يرحمك الله يا أبا عبيدة.. ما منعك أن تخبرني حين جاءك الكتاب"..؟؟

يا الله..أي صفاء في النفوس هذا..أي فهم في العقل هذا..أي إخلاص في القلوب هذا..

ورد الأمين بإجابة تزيل الدهشة من أذهاننا قائلاً:

" إني كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا نريد، ولا للدنيا نعمل، كلنا في الله إخوة".!!!

القضية بسيطة لمن لا يعرف الإسلام.. ولمن يعرف الإسلام

لا نريد الدنيا.. ولا للدنيا نعمل..

أيفهم الزعماء والقادة والساسة والمسئولون ورجال الأعمال..

obeikandl.com

أيفهم كل ذي منصب.. وكل ذي سلطة..

أيفهم الناس هدفهم من الحياة..

فلنتعلم من شخصيات تزهد في الدنيا وهي تحت قدميها،وما زهدت فيها عجزاً ولا فشلاً.. بل زهدت فيها علماً وإخلاصاً وصدقاً..

شكراً أبا عبيدة..

شكراً خالد..

ولا عجب بعد ذلك أن يصبح أبو عبيدة أمير الأمراء في الشام ويصير تحت إمرته أكثر جيوش الإسلام طولاً وعرضاً.. عتاداً وعدداً.. فما كنت تحسبه حين تراه إلا واحداً من المقاتلين.. وفرداً عادياً من المسلمين..

وحين وصل إلى سمعه أن أهل الشام قد أصبحوا يتحدثون عنه إعجاباً به وانبهاراً بشخصيته، خشي على نفسه وعليهم الفتنة فخطب فيهم ينبههم بأنه مجرد رجل مسلم من قريش لا أكثر ولا أقل..

تواضع يحتاجه القادة والحكام في عصرنا فلا يضيعوا فتضيع شعوبهم خلفهم..

تواضع تعجب منه عمر بن الخطاب نفسه حين زاره في الشام فلم يجد في بيته من الأثاث شيئاً إلا سيفه، وترسه ورحله..

ويسأله عمر وهو يبتسم: "ألا اتخذت لنفسك مثلما يصنع الناس"..؟

فيجيبه أبو عبيدة:

"يا أمير المؤمنين، هذا يبلّغني المقيل"..!!

إن أمانة أبى عبيدة تجعله يخاف أن يقال عنه أنه قد تكسب من منصبه فيضر نفسه..

وفى الأردن. وفي الثامنة عشرة للهجرة، وعن عمر يناهز ثمان وخمسين سنة، وفيت أمانة أبي عبيدة، أديتها نعم الأداء يا أبا عبيدة..

فلقد هاجم الطاعون بلاد الشام وأخذ يحصد الناس حصداً عندها كتب عمر إلى أبى عبيدة يطلب منه العودة إلى المدينة لحاجته إليه، فشعر أبو عبيدة أن عمر يطلب منه ذلك خوفاً عليه من المرض، فاعتذر لأمير المؤمنين مؤثراً أن يعانى مما يعانيه أهله حتى أصابه المرض وعندما علم عمر بذلك وهو يقرأ خطابه بكى..فسأله أحد الصحابة جزعاً:

ما الخبر يا أمير المؤمنين..أمات أبو عبيدة؟

فنظر إليه عمر نظرة أسى وحزن قائلاً:

لا..لم يمت بعد.. ولكن الموت يقترب منه.

وعندما وصل الخبر إلى عمر بن الخطاب في المدينة بوفاته.. لم يتمالك نفسه.. وأغمضت عيناه على دموع الفراق وطافت الذكريات في رأسه بحديثه هو والصحابة عن أبى عبيدة..

جلس عمر مع بعض الصحابة وأخذ يتذكر ذلك اليوم الذي اجتمع فيه الصحابة عنده فقال لهم عمر: "تمنوا".

فقال رجل: أتمنى لو أن لي هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله"، وقال الذي بعده: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً أو زبرجداً أو جوهراً أنفقه في سبيل الله".

فقال عمر: تمنوا.

فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين.

فقال عمر: ولكني أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح استعملهم".

رحمك الله يا أبا عبيدة.. رحمك الله بشهادة الرسول.. وشهادة عمر.. وشهادة الناس.

obeikandl.com

تحليل ودروس

١- الحرص على سلامة الرسول هو حرص على الإسلام نفسه

كان أبو عبيدة يراقب الرسول وهو يحارب وهو أمر غاية في الصعوبة لأنه يفقده جزءاً من تركيزه في المعركة، ولكنه كان مصراً على مراقبته حتى لا يتعرض الرسول للقتل من قبل المشركين لسببين:

الأول- الحب الشديد لرسول الله حتى أصبحوا يتمنون أن يهبوا حياتهم فداء له.

الثاني- أن قتل الرسول في هذا التوقيت يعنى نهاية المسلمين وتوقف الرسالة.

إن أبا عبيدة ضرب مثلاً نادراً في حب الرسول والخوف على الإسلام..فهل يقع حب الرسول في قلوبنا كحب أبى عبيدة أو نصفه أو ربعه..

إن حبنا للرسول لا ينبغي أن يكون كلاماً وأغاني بل لا بد أن يترجم إلى أعمال، إيذاء الرسول الجسدي إن كان قد توقف بوفاته ولكننا نؤذيه كل يوم معنوياً بإصرارنا على الاستهتار بكلامه وارتكاب ما يخالف ما أمر به.

إن إيذاء الرسول لا يعنى إيذاءه هو فقط بل إيذاء لكل مسلم يغار على دينه.

٢- التضحية بصدق في سبيل الله تورث رضاه وحسن ثوابه

كان المتوقع بعد أن كسرت ثنيتا أبى عبيدة أن يتشوه شكله، ولكن لأن تضحيته كانت صادقة مخلصة كافأه الله بجمال الشكل وهو أمر نادر لشخص في مثل موقفه...

إن الإنسان عندما يبذل ويضحى في سبيل الله لا بد وأن يعلم أن الله لن يتركه وأنه سيبدله ويكافئه على تضحيته إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة والآخرة خير وأبقى.

٣- الحرص على الفوز برضا الله ورسوله

حرص الشباب الآن وطموحه كله متجه إلى الدنيا، نحو النجاح والشهرة وتحصيل المال، ولكن نادراً ما يتجه الطموح إلى الفوز برضا الله ورسوله يوم القيامة، نخطط دائماً للاستحواذ على شيء في الحياة ولا نضع بنداً في تخطيطنا للفوز بالجنة، أعمالنا دائماً تتجه إلى أسفل ولا تتجه إلى أعلى..إن التفكير في إرضاء الله لا يعنى ترك الدنيا والزهد فيها، بل بالعكس إنه يجعلك تنجح في الدنيا نجاحاً مبهراً وأنت تنظر بعين ثاقبة إلى الآخرة، سيجعلك تقدم كل نجاح في الدنيا إلى الله ورسوله فتحصد ثواب الدنيا وثواب الآخرة.

٤- التنازل عن السلطة والرأي في سبيل الله والمصلحة العامة

السلطة شهوة وحب الرأي شهوة، وعندما تتمكن شهوة السلطة والرأي من الأفراد

يضيع المجتمع ويفسد ويتناحر وينهار، ولكن عندما تكون السلطة وسيلة لإرضاء الله والرأي وسيلة للفوز بحبه، يصبح التنازل عن الرأي سهلاً وبسيطاً إذا وجد أن هذا سيحقق المصلحة العامة ويحقن الخلافات ويطفئ نار الضغينة في النفوس.والتنازل عن الرأي عند الضرورة مهارة حوارية يجب أن يتعلمها الشباب لنفع أنفسهم والمجتمع.

٥- الحرص على الأخوة أولوية مهمة وخطيرة في حياة المسلمين.

استمد المسلمون قوتهم من قوة عقيدتهم وقوة أخوتهم قبل قوة سلاحهم الذي كان أضعف بكثير بالمقاييس المادية من قوة أعدائهم، لذلك كان حرص أبى عبيدة الشديد ألا يفسد قرار عمر بن الخطاب بعزل خالد وتوليته مكانه العلاقة الأخوية بينهما وهى أولى وأهم من السلطة عند كليهما، فحرص أبو عبيدة أن يبلغه الخبر بنفسه حتى يخبره برفق دون أن يؤلمه، وكم كان خالد رائعاً حين تقبل الأمر بصدر رحب ولم تتحرك في نفسه الضغينة لأخيه...

إن الخلافات بيننا لا بد أن تحسم بسرعة وأن يحول كل طرف من المتخالفين على إنهاء الموقف بسرعة والاستعداد للتسامح والاعتذار وقبول الاعتذار وتفضيل المحبة والأخوة على أي شيء من متع الدنيا.

٦- مراقبة الله تمنع الجريمة في حق النفس والمجتمع

حرص أبو عبيدة على أن يكون فقيراً وهو أمير أمراء الشام حتى لا يُتهم بالتربح من وظيفته، أبو عبيدة يفعل هذا من تلقاء نفسه دون أن يحاسبه أحد، وفى عصرنا يحارب الكثير من أجل الوصول إلى المناصب المختلفة كي يتربح منها.

إن فلسفة الإسلام في منع الجريمة تقوم على مراقبة الله والخوف منه لا الخوف من الناس، ولقد أثبت القانون فشله في منع الجريمة مهما كان صارماً وقوياً لأن نوازع الشر قبل أن تفكر في الجريمة فإنها تفكر في التحايل على القوانين التي تقيد الجريمة.

إن أفضل وسيلة لحماية المجتمع من كل أنواع الجرائم هو الخوف من الله.

٧- حرص القائد على أن يشارك شعبه المعاناة

كثيراً ما يردد الزعماء أنهم مواطنون كبقية المواطنين، وأنهم يشعرون بشعوبهم وآلامهم، وهم في الحقيقة يعيشون في قصور عاجية وينظرون لشعوبهم نظرة استعلاء وسخرية، يصعدون على أكتافهم ثم يدوسون عليهم بأقدامهم. وعندما تواجه البلاد الخطر يكونون أول الهاربين ويتركون شعوبهم تواجه ما فعلوه بها.. لقد آثر أبو عبيدة أن يعانى مما عاناه شعبه من هجوم الطاعون حتى وافته المنية..رحم الله أبا عبيدة.

القناص
عن قصة (سعد بن أبى وقاص)

"نعم.. مهما حدث سأذهب لرسول الله وأعلن إسلامي بين يديه..وليكن ما يكون" نطق بها الغلام سعد بعدما أجهده التفكير، وأضناه الصراع النفسي في اتخاذ قرار حياته.. دخول الإسلام..

لا شك أن القرار كان في غاية الصعوبة لشاب ليس له من العمر إلا سبعة عشر عاماً.. ويبدو أنها كانت بوادر رجولة سيشهد بها التاريخ بعد سنوات..

كان القرار صعباً على الصغير..

لم تكن صعوبة القرار في الاقتناع برسالة رجل يعرفه وتعرفه قريش كلها وتعرف صدقه وأخلاقه..

لم تكن صعوبة القرار في عبادة إله واحد هو خالق السماوات والأرض وترك أحجار لا تضر ولا تنفع..

كان سعد أعقل من أن يضطرب في هذه المساحة المحسومة له،ولا نستطيع أن نغفل أن الذي كان وراءه أستاذ الدعوة الفردية بلا منازع (أبو بكر الصديق)..لذا كان سعد ثالث من أعلن إسلامه بين يدي رسول الله.. حتى قال:

".. ولقد أتى عليّ يوم، وإني لثلث الإسلام"..!!

إنما كان ما يقلقه أمر آخر..

كان لابد أولا من إخفاء الأمر على قريش فلا زالت الدعوة تمر بمرحلتها السرية،وإذا كشف الأمر سيواجه مشاكل كبيرة ربما لا يعرف كيف يواجهها، وإذا تصدى إلى مواجهات المجتمع فكيف يتصدى للمشكلة الأكبر والأعنف والأشد ..

أمه..

كان يعلم أن أمه لن تمرر الموقف بسهولة، بل ستعترض بإصرار ما بعده إصرار، وستمارس عليه ضغوطاً هو في غنى عنها الآن وهو في بداية إسلامه..

حاول ألا تعرف..لكنها علمت بالخبر..

وكان ما توقعه سعد..

علمت الأم بالخبر.. فاندهشت واعترضت وهاجت وثارت وحاورت وجادلت..

لكن سعداً كان صلباً قوياً، أمام ضغوط أمه ومحاولاتها..إلى أن ألقت الأم –كالعادة – بالورقة الأخيرة..ورقة العواطف..

لقد هددت بأنها ستضرب عن الطعام والشراب حتى يترك سعد دينه ويعود إلى وثنيته فقالت له في ثورة:

يَا سَعْدُ! مَا هَذَا الدِّيْنُ الَّذِي قَدْ أَحْدَثْتَ؟ لَتَدَعَنَّ دِيْنَكَ هَذَا، أَوْ لاَ آكُلُ، وَلاَ أَشْرَبُ حَتَّى أَمُوْتَ، فَتُعَيَّرَ بِي، فَيُقَالُ: يَا قَاتِلَ أُمِّهِ.

كم كان الموقف صعباً على سعد،وكم كان الصراع النفسي على أشده وهو يواجه دعوة أمه التي طالما أحبها وأبرها ودعوة حبه الجديد والأبدي: حب الله ورسوله..

ولقد وازن سعد الأمر جيداً..وعلم أن الحب لابد أن يكون درجات وأنه لابد أن يتغلب حب الله ورسوله على حب الأم..

قرار صعب آخر لابن السابعة عشرة..

" لاَ تَفْعَلِي يَا أُمَّهُ، إِنِّي لاَ أَدَعُ دِيْنِي هَذَا لِشَيْءٍ.

ربما قالها سعد وهو يبكى أو يكاد يشرف على البكاء،فإن المشاعر مهما تحجرت فلن تستطيع أن تصبر على أذى يصيب الأم..

وتحدى سعد مشاعره وهو يرى أمه تمتنع عن الطعام يوماً كاملاً حتى جهدت إجهادا شديداً..

ويراها سعد فيشفق عليها إشفاقاً بلا حدود حتى يكاد يبكى لما يراها عليه، ولكنه يتماسك ويقول لها في رفق البار المصر على المبدأ:

يَا أُمَّهُ! تَعْلَمِيْنَ – وَاللهِ – لَوْ كَانَ لَكِ مَائَةُ نَفْسٍ، فَخَرَجَتْ نَفْساً نَفْساً، مَا تَرَكْتُ دِيْنِي، إِنْ شِئْتِ فَكُلِي أَوْ لاَ تَأْكُلِي

..كفى يا سعد..

انتهى الاختبار..إنه أحد اختبارات الثبات التي يختبر الله بها عباده ولقد نجحت يا سعد.. نجحت بامتياز..

فلقد انتصر سعد وإيمانه..

وهزمت أمه. أمام إصراره وصموده..فأكلت وعادت إلى طبيعتها..

ونزل القرآن يشيد بسعد وموقفه:

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾[العنكبوت:٨].

ليكمل سعد الطريق..

طريق الإيمان.

*****

كان الرسول يرى في سعد بن أبى وقاص شخصية حربية ماهرة، مهارته في رمى القوس كانت تلفت النظر بشدة، صلابته عند الشدائد معروفة للجميع، لقد صنفه رسول الله كمحارب من الطراز الأول وادخره ليوم ما سيستعين به فيه..

ولقد أتى ذاك اليوم..

فلقد كان الموعد مع أول سرية للمسلمين بعثها الرسول ﷺ إلى الحجاز، وعندما هاجم المشركون المسلمين بضراوة، فكان سعد بسهمه كالأسد يدافع عن أصحابه لا يتزعزع..ولقد كان يومه مع التاريخ..فلقد كان سعد أول من رمى بسهم في سبيل الله. لم يسبقه إلى ذلك أحد..أي شرف نلت يا سعد..

وكانت كلما مرت الأيام.. كلما زادت مكانة سعد عند رسول الله

قال ابن عمر: كُنَّا جُلُوْساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَدْخُلُ عَلَيْكُم مِنْ هَذَا البَابِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

فَطَلَعَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ.

كان في تلك الجلسة عمرو بن العاص، الذي ما إن انتهى المجلس حتى هرع إليه يسأله في إلحاح:

ما الذى تفعله يا سعد حتى يقول عنك الرسول أنك من أهل الجنة ؟

نظر إليه سعد وأجاب في هدوء:

لا شيء أكثر مما نعمل جميعا ونعبد.. غير أني لا أحمل لأحد من المسلمين ضغناً ولا سوءاً.

يا الله..لقد شهد الرسول لسعد بن أبى وقاص أنه من أهل الجنة..أهناك جائزة يستطيع أن يفوز بها مرء كهذه..

ولم يقف الأمر عند ذلك فلقد دعا الرسول لسعد بإجابة الدعوة.. ويا لها من دعوة...

عَنْ قَيْسٍ، أَخْبَرَنِي سَعْدٌ: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ**»

كانت إجابة الدعوة سلاحاً جديداً يستخدمه سعد في دعوته، ولم يكن يستخدمه إلا بحق.. ففي إحدى المرات مر برجل يسب علي بن أبي طالب وطلحة و الزبير، فطلب منه سعد أن يتوقف فلم يفعل، فأشهر سلاحه أمامه قائلاً: إذاً أدعو عليك..

فنظر إليه الرجل وقال في سخرية:

أراك تتوعدني كأنك نبي !!

فانصرف سعد وتوضأ وصلى ركعتين، ثم رفع يديه وقال: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سبّ أقواما سبقت لهم منك الحسنى، وأنه قد أسخطك سبّه إياهم، فاجعله آية وعبرة

فلم يمض غير وقت قصير، حتى خرجت من إحدى الدور ناقة نادّة لا يردّها شيء حتى دخلت في زحام الناس، كأنها تبحث عن شيء، ثم اقتحمت الرجل فأخذته بين قوائمها.. وما زالت تتخبطه حتى مات"..

أترى سعداً كان قاسياً في دعائه على الرجل، فإن كان كذلك فلما استجاب الله لدعاء سعد على رجل بلغت به الوقاحة وقلة الدين أن يسب علياً وطلحة..

إن الله لا يستجيب دعاء شر..

ولقد استجاب الله لسعد ليجعل الرجل عبرة لمن يعتبر ويرسل رسالة لسعد إن الجسور موصولة يا سعد بينك وبين الله.

ولكن السؤال..كيف يدعو الله على رجل دعوة قتلته وقد قال لعمرو بن العاص إنه لا يحمل ضغينة لأحد..

والجواب أن سعداً لم تكن المشكلة تخصه ولم يكن ينتصر لنفسه.. لقد كان ينتصر لأصحاب سبقوه بالحسنى ووجب عليه أن يحافظ عليهم.

إنه احترام صحابي لأصحابه ورد لغيبتهم إخلاصاً لهم ووفاء..

كانت مكانة سعد عن رسول الله فريدة بحق..يستحقها سعد بشخصيته وموهبته التي ظلت تزداد كانت تعلق بذهن الرسول يوم الشدائد..

وهل كان يوم أشد على المسلمين من أحد..

ففي خضم المعركة كان الرسول ينادى على سعد ويناوله النبال وهو يقول جملة لم يقلها الرسول لأحد في حياته إلا لسعد بن أبي وقاص:

(ارم سعد..فداك أبي وأمي)

لا شك أن سعد قد فكر برهة غير مصدق ما قاله له رسول الله ، ولقد ظل سعد يفتخر بما قيل له طوال حياته..وله كل الحق.

قَالَ عَلِيٌّ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَجْمَعُ أَبَوَيْهِ لأَحَدٍ غَيْرَ سَعْدٍ.

ولقد ورث لابنته عائشة تلك الشهادة فظلت تفتخر بها أمام أقرانها فتقول:

أَنَا ابْنَةُ الْمُهَاجِرِ الَّذِي فَدَاهُ رَسُوْلُ اللهِ يَوْمَ أُحُدٍ بِالأَبَوَيْنِ.

*****

"لا يا أمير المؤمنين.. هذه مخاطرة غير محسوبة، في وقت يمر فيه الإسلام بفترة عصيبة"

نطق بها الصحابي عبد الرحمن بن عوف في اجتماع الشورى الذي عقده عمر بن الخطاب لصد الهجمات الغادرة التي شنتها الفرس على المسلمين ،وبمعركة الجسر التي ذهب ضحيتها أربعة آلاف مسلم في يوم واحد..

عدد رهيب من قتلى المسلمين لم يتعود عليه المسلمون من قبل،فكيف وقد حدث ذلك في يوم واحد..

ولم يقف الأمر عند هذا الحد..فلقد نقض أهل العراق عهودهم والمواثيق التي كانت عليهم .

وبلغ الأمر بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن قرر أن يذهب هو بنفسه على رأس جيش إلى العراق ويستخلف علي بن أبى طالب على المدينة لولا أن راجعه الصحابة في رأيه، وأقنعوه بأن وجوده في المدينة هو الأفضل، ليدير المعركة من هنا ولا يغامر بحياته وأن يتم اختيار قائد خبير إلى العراق ليرد هجوم الفرس.

واقتنع عمر بن الخطاب ليبدأ هو وأصحابه في البحث عن إجابة لسؤال صعب:

من..

من سيتولى المهمة..

من سيحل محل عمر بن الخطاب في قيادة جيش المسلمين في العراق ..

من القائد المحنك الشجاع الجريء الحكيم..

كانت الأسماء تتداول بين الصحابة في الاجتماع حتى هتف عبد الرحمن بن عوف قائلاً:

إنه هو وليس غيره..

نظر الجميع إليه وكأنهم في شوق لسماع اسم الفارس المنتظر وقد بدا عليهم الإجهاد من البحث.. وتابع عبد الرحمن بن عوف:

محارب خبير..وذو صلابة في الإيمان وشجاعة في الميدان وتواضع فى الخلق..

هتف أحدهم:

أرحنا يا رجل وكفاك ألغاز..

قال عبد الرحمن:

سعد بن أبى وقاص..

نظر الجميع إلى بعضهم البعض نظرة ارتياح.. وأجمعوا الرأي عليه لما له من صفات تؤهله لهذا الموقف الصعب.

ولم لا وهو الفارس يوم بدر ويوم أحد..

ولم لا وهو رجل من أهل الجنة..ورجل مستجاب الدعوة إذا سأل الله النصر أعطاه.

وبسرعة..أرسل أمير المؤمنين عمر إلى سعد بن أبى وقاص يطلعه على المهمة ويشرح له أبعادها وخطورتها..

ستكون قائداً على ثلاثين ألف جندي من المسلمين في مواجهة مائة ألف من الفرس المدربين والمسلحين بأحدث الأسلحة..

اتجه مباشرة إلى القادسية فهي بابك إلى فارس..

اكتب إلىَّ كل فترة بسيطة .. واكتب إلىِّ كل ما تراه حتى تجعلني أرى الحرب وأنا جالس في المدينة..

كانت التعليمات واضحة ومحددة.. ولم يكن سعد في حاجة إلى ذكاء لكي ينفذ كلام أمير المؤمنين حرفياً..

كان سعد يعلم ويفهم أن خطورة الموقف تتطلب مراسلات دائمة بينه وبين القائد الأعلى للقوات المسلحة..وأن عليه أن يتلقى التعليمات ساعة بساعة وكأنه مجرد جندي في جيش لا فارساً مشهوداً له بتاريخ عسكري طويل ومشرف.

كان سعد يفهم أن عمر أمير المؤمنين هو نفسه لا يأخذ قرارات فردية عنجهية غير مسئولة، بل إن الأمر لا يخرج إلا بعد مشاورات ومشاورات..

وأراد سعد أن ينفذ تعليمات أخذت ببركة الشورى..

ولكن أين الزعامة و البحث عن الذات والنزعة الفردية والرغبة في حركات استعراضية يذكرها التاريخ في الكتب..

لا وجود لها مع سعد بن أبى وقاص..

لا وجود لها مع رجل من أهل الجنة..

لا وجود لها مع رجل من أتباع محمد..

وينزل سعد القادسية، ويتجمّع الفرس جيشاً وشعباً، كما لم يتجمعوا من قبل، ويتولى قيادة الفرس أشهر وأخطر قوّادهم "رستم"...

ويبعث سعد برسالاته إلى عمر بن الخطاب ليخبره بتحركات جيش رستم وأنه بدأ الزحف عليهم.. في الوقت الذي بدأت تظهر فيه بوادر مرض جلدي أصاب جسد سعد فنثر الدمامل في أجزاء متفرقة من جسده.

ويصل الرد من عمر ليس بالهجوم ولكن برسالة إلى رستم يدعوه فيها إلى الإسلام..

ويطول الحوار بينهم وبين قائد الفرس، وأخيراً ينهون الحديث معه إذ يقول قائلهم ربعي بن عامر: الله جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه، لندعوهم إليه، فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر.

فمن قبل ذلك منا، قبلنا منه، ورجعنا عنه، ومن قاتلنا قاتلناه حتى نفضي إلى وعد الله.."

ويسأل رستم: وما وعد الله الذي وعدكم إياه..؟

فيجيبه الصحابي:

"الجنة لشهدائنا، والظفر لأحيائنا".

ويعود الوفد إلى قائد المسلمين سعد، ليخبروه أنها الحرب.

ويحزن سعد أشد ما يكون الحزن..حزناً يصل إلى حد البكاء..ليس خوفاً من مواجهة رستم وجيوشه.. فمثل سعد لا يخاف من مواجهة مهما كانت..ولكن لأن بهذا الرد السريع أيقن سعد أنه لن يشترك في الحرب..

فلقد زاد عليه المرض واشتد عليه حتى ملأت الدمامل جسده فلم يقو على الجلوس ولذا فلن يتمكن من ركوب فرسه..

تمنى سعد أن تبدأ الحرب قبل اشتداد المرض أو بعد الشفاء منه.. لكن تلك كانت مشيئة الله..

ومع هذا.. لم يكن ذلك أبداً مدعاة لليأس.. فأتباع محمد لا ييأسون ولا يستسلمون..

وبدأ سعد المعركة..

وبدأ يشعل الروح المعنوية لجنوده وقد بدأ بتلاوة الآية الكريمة:

بسم الله الرحمن الرحيم..

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

[الأنبياء:١٠٥]

إنها آية كلها أمل وتفاؤل وثقة بنصر الله..

واستمر سعد يخطب في جنوده يذكرهم بعظمة مهمتهم وثواب أدائها..

وبعد فراغه من خطبته، صلى بالجيش صلاة الظهر، ثم استقبل جنوده مكبّرا أربعا: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر..

ورجت الأرض بالتكبير كأنه زلزال..وأشار سعد بسهمه إلى العدو قائلاً لجنوده في حماسة وإصرار:

سيروا على بركة الله..

وأخذ سعد يتابع المعركة من شرفته.. يحرك الجنود ويوجههم ويبث فيهم الحمية والحماسة..

كانت جروحه تنزف بشدة..ولكنه لا يكاد يشعر بها..فأصحاب الجهاد في وقت الجهاد..تنفصل أجسادهم عن مثل هذه الصغائر..

كان سعد مشغولاً عن جروحه بالقعقاع وأشعث وجرير ونعمان ينادى عليهم ويصرخ فيهم بالعزم والأمل..

وجاء نصر الله..

لقد قتل رستم.. وأخذ جنود الفرس يتساقطون كالذباب..وزحف المسلمون حتى نهاوند ووصلوا المدائن وحملوا تاج كسرى..

انتصر سعد انتصاراً مبهراً في القادسية..

وكان على موعد بنصر مبهر آخر في موقعة أخرى بعدها بعامين..

موقعة المدائن..

obeikandl.com

على مدار عامين.. مناوشات مستمرة بين المسلمين والفرس.. انتهت بتجميع الفرس أنفسهم من فلولهم المتناثرة في المدائن للتأهب لحرب الفرصة الأخيرة..

لم يكن الوقت هذه المرة في صالح سعد، بعكس المرة الأولى في القادسية..فكل ساعة تمر تعنى إعطاء فرصة للفرس للتجمع والتفكير والاستعداد..

فقرر سعد الهجوم..

ولكن كيف يصل إليهم وبينه وبينهم نهر دجلة..ليس هذا فحسب بل كان الوقت وقت فيضان..

ولكن الاستسلام لا يعرف طريقه إلى سعد أبداً، وجلس مع قادته يتشاورون لحل المشكلة..ووضع خطة الهجوم

وكان الحل هو تشكيل فرق بحث على مساحة واسعة من نهر دجلة لاكتشاف أفضل المناطق لخوض الجيش فيها بأقل قدر ممكن من المغامرة..

ونجحت فرق البحث بالفعل في اكتشاف منطقة من النهر ضحلة إلى حد كبير يستطيع الجنود أن يعبروا منها بسلام..

ويأتي الجزء الثاني من الخطة..

كيف تتم عملية تغطية الجنود الذين يعبرون النهر؟

فالعدو يعسكر على الضفة الأخرى..مما يعنى الهجوم على كل من سيصل من المسلمين إلى تلك الضفة..

وكانت الخطة تشكيل كتيبتين..

الكتيبة الأولى هي كتيبة الأهوال..يقودها عاصم بن عمرو..مهمتها أن تعبر النهر وتعسكر في مكان آمن لحماية الكتيبة الخرساء التي ستعبر بعدها وقائدها القعقاع بن عمرو..

هتف سعد في المسلمين لكي يقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل..

وبسرعة البرق اقتحم بفرسه نهر دجلة كأنه يرمى سهماً من قوسه المدربة الخبيرة، واقتحم الناس وراءه، لم يتخلف منهم أحد، فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض حتى ملئوا ما بين الجانبين، ولم يعد وجه الماء يرى من أفواج الفرسان والمشاة، وجعل الناس يتحدثون وهم يسيرون على وجه الماء كأنهم يتحدثون على وجه الأرض، وذلك بسبب ما شعروا به من الطمأنينة والأمن، والوثوق بأمر الله ونصره ووعده وتأييده...

ونجحت الخطة نجاحا مذهلا..أذهلت الفرس والمسلمين..

بل أذهلت سعد نفسه..

وستذهلون أنتم أيضاً عندما تعلمون رقم الخسارة التي لحقت بالمسلمين بعد عبور النهر..

لقد كان الرقم..

صفر..

نعم.. صفر..

أي عبور لجيش في التاريخ بطوله وعرضه لم يفقد فيه جندي واحد.

.. إنه جيش سعد

بل إن الخسارة لم تنجح في أن تنال من نفس جندي واحد فحسب بل أنها لم تجرؤ لتنال شيئاً من معدات الجنود وأدواتهم..

فلقد سقط من أحد الفرسان كوب له أثناء العبور، فعز عليه أن يكون الوحيد من بين زملائه الذي يفقد شيئاً في يوم نصر كامل ندر أن يكون.. فنادى على من حوله من زملائه لكي يساعدوه على انتشال الكوب..وجاءت موجة عالية لتتعاون معهم وترفع إليهم الكوب ليلتقطوه..وكأنها تقول لهم

الكل معكم اليوم..حتى أنا...

إن عبور قناة السويس في حرب أكتوبر كان معجزة شهد بها العالم برغم حجم الخسائر التي منى بها الجيش المصري أثناء العبور..

وكانت لعملية التغطية الجوية أكبر الأثر في إنجاح عملية العبور..

ها هو سعد يضع الخطة نفسها وبنجاح منقطع النظير..

وبعد.. ألا يستحق المسلمون بفكرهم وتجاربهم أن يقودوا العالم ؟

أصبح سعد أميراً على العراق..ليبدأ معركته الجديدة مع البناء والتعمير.. فقام توفير الخدمات الأساسية للشعب العراقي وأرسى قواعد الإسلام وأخلاقه في البلاد..

إلا أن شكوى غريبة جاءت من أهل الكوفة بأن سعداً لا يحسن الصلاة !!! حتى إن سعداً كان يسمع بها فيضحك ويضحك.. لعلمه أن شيئاً ما وراء تلك الشكوى لا يعرفه..

لكنه على أي حال كان موقفا تجلى فيه عدل الإسلام واحترام لرغبات الشعوب حتى وإن كانت على حساب صحابي شهد له الرسول بأنه من أهل الجنة..

لقد أراد عمر أن يطبق القوانين الأرضية دون استناد لشهادة محققة..

obeikandl.com

وفى نفس الوقت إطلاق لرأى سديد.. أن من يشهد الرسول له بالجنة من الممكن أن يخطئ لأنه بشر..وإذا أخطأ فلابد أن يحاسب..

احتراماً لرأى الشعب وإرادته.. محاسبة للمسئولين.. لا دكتاتورية.. لا عنجهية..لا محسوبية..لا مصالح.. لا قهر..لا اعتقالات للمعارضين..

إسلام....

وعلى الفور..استدعى عمر سعداً للتحقيق معه في المدينة.. وبكل تواضع وامتثال لأمر أمير المؤمنين نفذ الأمر دون غضب أو محاولة تمرد..

وكانت نتيجة التحقيق..تبرئة سعد واتخاذ قرار بعودته مرة أخرى إلى الكوفة..

كان من الطبيعي أن يعود سعد إلى الكوفة مرفوع الرأس..

كان من الممكن أن يعود ليحاسب من شكوه إلى أمير المؤمنين حساباً خفياً ويحافظ في نفس الوقت على مظهر العدل والتقوى..

كان طبيعيا أن يعود.. لأنه لم يخطئ..

لكن سعداً اعتذر لعمر..

مفاجأة.. أليست كذلك..

تعالوا نتعلم..

صحيح أن سعدا ثبتت براءته أمام الناس..لكنه في داخله يشعر أن العلاقة بينه وبين أهل الكوفة ليست على ما يرام..فلم يحب ولم يرض أن يكون رئيساً لشعب يشعر أنه لا يحبه..

لقد فضل سعد الانسحاب الهادئ من حياة الإمارة طالما ستصاب بتوتر سيقلقه في كل لحظة..

انسحب هكذا بإرادته الكاملة...

أرأيتم حساسية وصدق مع النفس كهذه..

أرأيتم رقة قلب في قائد مغوار لا يخش أعظم قوة في العالم آنذاك بل يهزمها شر هزيمة كسعد..

تلك الرقة هي التي جعلت سعداً لا يحمل ضغينة لأحد..

تلك الرقة هي التي زفت إليه بشرى دخول الجنة..

رقة نعم...لكنها رقة لا تنقصها الحكمة..

obeikandi.com

جعلته ينسحب مرة من إمارة العراق..

وجعلته ينسحب مرة أخرى..

أيام الفتنة.

جيش على رأسه معاوية بن أبى سفيان..وهو مسلم..

يحارب جيشاً على رأسه الخليفة الرابع للمسلمين على بن أبى طالب..وهو مسلم..

كان صعباً على سعد أن يتحمل هذا..

كان صعباً على من عاصر رسول الله أن يجد أصحابه يتقاتلون أمامه..

فقرر الانسحاب..

فاعتزل المعركة وهو العسكري الماهر صاحب المعارك والانتصارات..

ولم يكتف بعدم المشاركة في الفتنة .. بل أمر زوجته وأولاده بألا ينقلوا إليه شيئاً من أخبارها أبداً..

ويذهب إليه ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ويقول له: يا عم، ها هنا مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر.

فيجيبه سعد: "أريد من مائة ألف سيف، سيفاً واحداً.. إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئا، وإذا ضربت به الكافر قطع"..!!

ويدرك ابن أخيه غرضه، ويتركه في عزلته وسلامه..

وحين انتهى الأمر لمعاوية، واستقرت بيده مقاليد الحكم سأل سعداً: مالك لم تقاتل معنا..؟

فأجابه: "إني مررت بريح مظلمة، فقلت: أخ.. أخ..

واتخذت من راحلتي حتى انجلت عني.."

فقال معاوية: ليس في كتاب الله أخ.. أخ.. ولكن قال الله تعالى:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات:٩].

وأنت لم تكن مع الباغية على العادلة، ولا مع العادلة على الباغية أجابه سعد قائلاً: "ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي".

مرت الآن أربعة وخمسون عاما من الهجرة.. ومرت معها ثمانون عاما من عمر سعد لتقترب جداً بشرى الرسول له بالجنة..

لكن ابنه يبكى بدموع الفراق وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة في حجره..

فيبتسم له أبوه قائلاً: يا بنى ما يبكيك..إن الله لا يعذبني أبداً وإنني من أهل الجنة..

الآن سيسافر سعد إلى أرض جديدة على موعد بلقاء ملك الكون..

ولقد أتم سعد استعداده منذ زمن..

فلم ينس شيئاً قط..حتى ملابسه التي سيرتديها للمقابلة.. كان محتفظاً بها في خزانته..

إنه ثوب يالغلو ثمنه..لا.. إنه لا يقدر بثمن..

ثوب بدر..

ثوب يحمل التاريخ والتضحية والمغفرة وخاتم دخول الجنة لآخر المهاجرين وفاة..

وفى المدينة لحق برفاقه الذين سبقوه إلى الله..

نعم الصحبة في الدنيا والآخرة..

وداعاً يا سعد..!!

وداعاً يا بطل القادسية، وفاتح المدائن، ومطفئ النار المعبودة في فارس إلى الأبد..!!

*****

obeikandl.com

تحليل ودروس

١- مرحلة المراهقة مرحلة اتخاذ قرارات مصيرية

اتخذ سعد قرار الدخول في الإسلام وهو ابن سبعة عشر عاماً وهو قرار مصيري يحتاج إلى نضج وفكر وعقلانية..وهى طبيعة مرحلة المراهقة التي يحدد فيها مصيره العلمي ويختار فيها كليته ويحدد فيها طريقة تفكيره وأسلوبه في الحياة، إن مرحلة المراهقة مرحلة مصيرية يتشكل فيها الإنسان التشكيل النهائي الذي غالباً ما سيستمر عليه طيلة حياته..، ولذلك ينبغي على الطالب والمراهق عموماً أن ينير عقله ويعمل فكره ويستشير الآخرين ويحسن الصحبة حتى يكمل مشوار حياته في أمان.

٢- الصراع بين الملتزم ومن حوله

في بداية الالتزام..عادة ما ينشأ صراع بين الملتزم ومن حوله نتيجة لتغير الأفكار والعادات لدى الشخص الملتزم، وهذه الدوائر تبدأ بالأسرة ثم الأصدقاء ثم تتسع الدائرة لتصل إلى المجتمع ككل، وسبب هذا الصراع يختلف من حالة إلى أخرى كالتالي:

أ- قد يكون نتيجة لقيام الشخص الملتزم بأفعال مستفزة حتى وإن كانت صحيحة مثل إغلاق التليفزيون على فيلم يراه غير مستحسن مشاهدته، أو تعنيف أخ له نتيجة لعدم صلاته في المسجد، أو نقد الأب نتيجة لارتكاب خطأ في صلاته أو تدخينه السجائر، ونحن لا نعترض على الدعوة من أجل التغيير داخل المنزل، ولكن التغيير المفاجئ دون تمهيد مدروس هو الذي يسبب الصدام والفشل.

ب- قد تمرر الأسرة الموقف ولكنها تبدأ في الاعتراض نتيجة لملاحظة ظهور سلبيات على الشخص الملتزم بعد التزامه، مثل التأخر الدراسي أو الانعزال عن الأسرة والأقارب والجيران أو اتهام الناس بتهم صادمة مثل الفسوق والكفر أو الانغماس في العبادة بصورة يهمل معها مصالحه ومصالح أسرته.

ج- الحديث في الأمور السياسية كثيراً بالمنزل، مما يزرع الخوف في قلب الأب والأم ويشعران باستمرار أن الابن أصبح معرضاً دائماً للخطر.

د- غالباً ما يواجه التزام الشخص بالسخرية من أصدقائه، وكلما شعروا بالضعف من ناحيته زادوا في الأمر، ولا حل لهذه المشكلة إلا بقوة شخصية المدعو أمام أصدقائه وثقته في نفسه ودفاعه عن تدينه بعزة ولطف دون صدام.

٣- حب العقيدة يسمو فوق أي حب

كان سلمان يحب أباه حباً جماً، ولكنه عندما تعارض حبه لله ودفاعه عن عقيدته، اختار

عقيدته دون تردد، وفضل حبه لله على حب أبيه، إن حب الله لابد أن يعلو على أي حب.. المال والنفس والشهرة والمجد وحب الدنيا والأب والأم والزوجة والأولاد.

٤- تفضيل حب الله على حب الوالدين، لا يعنى سوء معاملتهما.

ليس معنى أن يغلب حب الله حب الوالدين أن نعامل آباءنا بجفاء أو تجهم أو تعالى، فإنه يتنافى مع عقيدة الإسلام التي تؤمن بها، ومهما وصل الخلاف فلتكن المعاملة بالرفق واللين والبسمة والحوار ولتتحمل غضبهم إن حدث في سبيل الله.

٥- دائماً المعايير الأخلاقية والعملية (لا التعبدية) هي التي تفضل البشر على بعضهم البعض في الدنيا والآخرة

يعتقد الناس ويعتقدون دائماً أن التفوق التعبدي من كثرة صيام وصلاة وقيام ليل هو الفيصل في الحكم على الأشخاص في الدنيا ودرجاتهم في الآخرة، إلا أن الإسلام يعلمنا في مواقف عدة أن الميزان دائماً تهبط كفته لصاحب الخلق والعمل مثل موقف سعد (يدخل عليكم رجل من أهل الجنة) (وموقف سلمان وأبي الدرداء ومساندة الرسول لرأى سلمان)

وليس معنى هذا أننا نقلل من أمر العبادة ولكننا نعيد ونؤكد أن هدف العبادة هو التزود بالطاقة الإيمانية التي تمكننا من تفعيل الأخلاق الإسلامية والعمل في المجتمع لإصلاحه وتنميته.

٦- إعلاء قيمة الحب في الله والأخوة في المجتمع المسلم

ربما جاء إعلان أن سعداً رجل من أهل الجنة أمام كل المسلمين وأمام التاريخ لأنه لا يكن ضغينة لأحد..إعلاءً لقيمة الحب في الله والتسامح والأخوة بين المسلمين، لتقوية البناء الاجتماعي والروابط الإنسانية في المجتمع المسلم ليبقى وليحافظ المسلمون على قوتهم بين الأمم. وهو ما يفسر انهيار المسلمين الآن أمام غيرهم من الأمم بعد أن فقدوا قيمة المحبة والتسامح والمودة فيما بينهم وعلت بدلاً منها قيم المصلحة الشخصية والتعالي والرغبة في الانتقام.

٧- استخدام نعم الله في وجه الحق والخير

منّ الله سبحانه وتعالى على سعد بنعمة إجابة الدعاء، فلم يفكر أن يستخدمها في إيذاء الناس وإلحاق الأذى بهم لسببين: الأول- أنه يعلم أن الله لا يستجيب لمن يدعو بشر.

والثاني- أنه يعلم أن النعمة مسئولية سوف يحاسب عليها يوم القيامة فلا يستخدمها استخداماً يجازى عليه أمام الله يوم القيامة.

وقد يعطيك الله من النعم الكثير مثل الصحة والمال والعلم ..فلا تحسن استخدامها ولا تحسن شكر الله عليها فيحرمك الله منها ثم يحاسبك عليها.

٨- رد الغيبة خلق مفقود بين المسلمين

لم يتحمل سعد بن أبى وقاص أن يغتاب أخ له - على بن أبى طالب- أمامه لعلمه أن رد غيبة أخيه واجب عليه، والغيبة أحد المصائب التي منى بها المجتمع المسلم ففرقت الأصحاب ونزعت بين الأحباب وجلبت الفتن والمصائب، وهى داء عضال يشق المجتمع ويفرق الصف..إن واجبك نحو أخيك وصديقك ألا تغتابه وإذا سمعت أحداً يتناوله بسوء أن تدافع عنه ما استطعت أو تترك مجلسه إن لزم الأمر.

٩- إنكار الذات والإخلاص أحد أسرار تقدم المسلمين

أخذ سعد يتلقى التعليمات من عمر بن الخطاب في القادسية كأنه جندي، ينفذ التعليمات بكل دقة وإخلاص، فلم يغضب أو يتذمر وكان النصر المبين.

إننا في هذا العصر الجميع يحاول أن يستعرض من أجل الظهور بدور البطولة حتى وإن كان ذلك على حساب الوطن والمصلحة العامة، ويحاول الكثير أن ينسب الفضل لنفسه ساعة النصر ويلصق التهمة بالآخرين وقت الهزيمة، إن شهوة حب النفس والمظهرية قد تمكنت من النفوس فأصبحت مرضاً أصاب المجتمع بالفشل في كل المجالات في السياسة والتعليم والرياضة والفن... إلخ.

إن معجزة الإسلام تكمن في أنها تربى النفوس على التضحية بكل شيء من أجل الله، فتجعلها لا تنتظر الشكر من الناس على عمل قامت به، إنما تنتظر الجزاء والثواب من الله، وتجعل فرحتها عند رؤيتها لنصرة دين الله أو خدمة أهلها أو ورفعة وطنها أعظم وأجل من نسب الفضل لها أمام الناس.

١٠- العدل أحد الأسباب الرئيسية في قوة المسلمين أيام عمر وأحد الأسباب الأساسية في ضعف المسلمين الآن.

قام الإسلام على العدل واحترام رأى الشعوب والمساواة بين الحاكم والمحكوم،وكان التحقيق مع سعد بن أبى وقاص لوصول شكوى من أهل الكوفة ضده إلى عمر بن الخطاب أكبر دليل على ذلك، وهو مشهد نادر الحدوث في بلادنا الإسلامية الآن حيث تكثر الشكاوى من المسئولين.. ومنهم من يتهم بالرشوة والسرقة وأكل حقوق الناس فلا يحاسب ولا يعاقب، فتفشى الظلم وحقر من أمر الناس، فاستهزأت بنا الأمم وصرنا أضحوكة العالم.

*****

الـــداهية

عن قصة (قيس بن سعد بن عبادة)

"أؤكد لك يا سعد.. لو استطعنا أن نشترى لهذا الفتى الذهبي لحية بأموالنا لفعلنا"

نطق بها أحد الأنصار وهو يداعب سعد بن عبادة في جلسة جمعته مع بعض أصدقائه في منزله، وكان يجلس معهم ولده قيس يعلق على أحاديثهم ويشترك معهم في بعض أطرافه..

وكان الولد يلفت نظر الجالسين بشدة، ويثير إعجابهم بذكائه في الرد وشخصيته القيادية المبهرة والتي ورثها عن أبيه عبادة زعيم الخزرج..

كان الفتى مبهراً بحق.. فهو بالإضافة إلى مهارات القيادة النادرة والخبرة الاجتماعية الكبيرة التي اكتسبها نتيجة لوفود شخصيات المدينة على اختلافها لمنزل أبيه.. فلقد تمتع بدهاء غير مسبوق.. ومكر وخديعة جعل كل من حوله يحذره ويحسب خطواته معه جيداً..

إلا أن شيئا واحداً كان ينقصه ويكتمل مظهر زعامته الجذابة فيصبح زعيماً مظهراً وجوهراً..

إنها..

اللحية..

نعم اللحية فقط..

فلم ينبت لقيس شعر في وجهه، وهو أحد مظاهر رجولة العرب..

ولم يكن عرض أصدقاء سعد المال من أجل شراء لحية لابنه إن أمكن لأن سعداً ينقصه المال،.. فلقد كانت طرفة فحسب..فلقد كان من أغنى أغنياء المدينة بل ومن أجود أهلها..

فلم يرث قيس الزعامة فقط.. بل ورث الكرم أيضاً..

فالكرم علامة من علامات بيت أسرته، حتى إنه في النهار كان يصعد مناد فوق المنزل فينادى على من يريد أن يأكل،وفى الليل يوقدون النار ليسترشد بها الغريب أثناء سيره..

وأصبح كرم قيس مثار حديث الصحابة،حتى إن عمراً و أبا بكر كانوا يتناولونه في أحاديثهم بتعليقات لا تخلو من طرافة فقالا فيه يوما:

وعندما سمع سعد بما قال أبو بكر وعمر.. قال غاضباً:

من يعذرني من أبي قحافة، وابن الخطّاب.. يبخلان عليّ ابني"..!!

أي من يحميني من أبى بكر وعمر..فإنهما يدعوان ابني للبخل..

لو تركنا هذا الفتى لسخائه، لأهلك مال أبيه"..

ورغم اعتراض أبى بكر وعمر على هذا الكرم الذي تخطى الحدود من وجهة نظرهما إلا أن قيسا استمر على عهده أو هوايته المفضلة..

ففي يوم من الأيام طلب منه أحد إخوانه قرضاً من المال، فاستجاب قيس على الفور وحدد له الأخ المدين موعداً لسداد الدين واتفقا عليه..

ووفى الأخ المدين بوعده،حيث جاء في الموعد المحدد ليسد دينه ويعطى قيساً ماله، إلا أنه فوجئ بقيس يرفض قائلاً:

إنا لا نعود في شيء أعطيناه"..!!

إن صفة الكرم قد تغلغلت في جسد قيس وعائلته حتى أصبحت شيئاً من تكوينهم وربما تحولت إلى جينات وراثية يولد الأبناء بها بفطرتهم دونما عناء.

وكان أبوه سعد يرى أن ما ينقص هذا الفتى لتتبلور شخصيته وتنقى من خبثها ثم تصقل وتلمع كجوهرة نادرة يشهد بقيمتها وجمالها كل من رآها..

الإسلام...

إنه يعلم أن الإسلام يهذب القدرات وينقحها وينميها ويوجهها إلى ما هو نافع مفيد..

إنه يعلم أن الإسلام دين يستفز المواهب فيجعلها تنطلق بقوة في فضاء واسع بلا حدود دون أن تشذ عن ضوابط قيمه وأخلاقه..

إنه يعلم أن الإسلام دين يستطيع برفق أن يحول مؤشر الذكاء والدهاء لدى قيس إلى اتجاه العدل والحق والنفع...

ولم لا وأمامه نموذج حي من المهاجرين يتحرك أمامه كل يوم اسمه عمر بن الخطاب.

كل هذا جعل سعداً يأخذ ابنه قيس ليذهب به إلى رسول الله.. قائلاً:

هذا خادمك يا رسول الله"..

الآن أصبح قيس مسلماً يصاحب المسلمين ويشترك معهم في ندواتهم.. يتناقش معهم في أفكارهم ويساعدهم في أعمالهم..

وكان من السهل أن يتأكد الرسول من ذكاء الفتى ومواهبه التي تجعله يضمه في عداد المتفوقين والمميزين من صحابته..

وهو أيضاً لم يكن ليفارق الرسول، فهو يلازمه أينما راح حتى أصبح بمثابة الحارس له، وأصبح حاملاً لراية الأنصار في بعض الغزوات وعينه النبي ﷺ رئيساً للجنة الصدقات، يجمع الصدقات ويوزعها على من يحتاجها.

لقد أصبح قيس جامعاً لصفتين متلازمتين.. الكرم والشجاعة. فلم تكن تأتى غزوة اشترك فيها النبي ﷺ حتى اشترك معه فيها.. مما أكسبه صفات جديدة ومهارات عسكرية نتيجة لاشتراكه المستمر في الحروب أهله للقيادة والإمارة في عهد على بن أبى طالب رضي الله عنه..

وفى عهد على كان شاهداً للفتنة الكبرى بينه وبين معاوية..

قضية أصابته بالحيرة الشديدة كما أصابت الألوف غيره من خيرة الصحابة، ولكنه فكر طويلاً بكل ما أوتى من حكمة وقوة عقل وانتهى به الأمر ليقف في صف الخليفة على بن أبى طالب، وفى موقعة صفين الشهيرة أراد أن يحتال بذكائه ليتفوق على معاوية وأراد الشيطان أن يستخدم دهاءه إلى أبعد مدى حتى لو تعدى الخطوط المسموح بها وتخطى إلى أرض الدهاء المحرم..الدهاء الشرير الذي لا يلتزم بقواعد أي قواعد..ولقد طاوعه عقله برهة وطاوعته الأفكار وكان ذلك من السهل عليه وهو داهية من دواهي العرب في الحيلة والمكر..ولقد هم بالشر لولا أن تذكر الله والإسلام ورسالة الحق التي جاء بها..فتراجع مستغفراً وهو يتمتم:

والله لئن قدّر لمعاوية أن يغلبنا، فلن يغلبنا بذكائه، بل بورعنا وتقوانا..!!

إنها شجاعة من نوع آخر غير شجاعة النفس يفتقد إليها معظم السياسيين والعسكريين في عالمنا الآن..شجاعة الخلق..

في السياسة والحرب ربما تتاح الفرصة تلو الفرصة للمكاسب ولكنها غالباً ما تكون على حساب البشر...

يكسب القائد ويخسر الناس وتداس الأخلاق وتنحر القيم ويجنب الحق باسم السياسة..

إنها شجاعة نفسية لا يصنعها إلا الإسلام ولا يقوى عليها إلا من التزم بالتقوى والخوف من الله..

إنها شجاعة من أجل رضا الله..فلن يرضى الله بنصر قائم على الظلم وهدم القيم..

إنها شجاعة لله..

وظل قيس على مبدئه، حتى عندما أحدث معاوية الوقيعة بينه وبين على بن أبى طالب..

فلقد ولى على قيساً حاكماً على مصر..فانزعج معاوية انزعاجاً شديداً،وشعر أن المسألة قد زادت تعقيداً فحتى لو انتصر معاوية في الحرب فسيصبح إسقاط قيس من على حكم مصر مسألة صعبة غير مضمونة، ولقد كانت مصر تمثل لمعاوية درة التاج والجائزة الكبرى التي يمنى نفسه بها..

ونجحت خطة معاوية الماكرة..وعزل على قيساً..

وفطن قيس للأمر..وكان رده غاية في الحكمة وغاية في الذكاء..

كان معاوية ينتظر ثورة من قيس على علي بن أبى طالب وانشقاقاً في جبهته، مما يحسم الأمر لمعاوية..

فما ثار قيس على علي ولا أحدث انشقاقا في جبهته بل هب لعلى وأعلن ولاءه التام له..

كان معاوية يدرك دهاء قيس ولكنه لم يعلم أنه وصل به إلى هذا الحد..

ولم لا..ولقد علم الإسلام قيساً..أنه ما تقلد منصباً إلا لله..لا لجاه ولا لشهوة..فإن تركه فلن يعنيه ذلك في كثير أو قليل..

شجاعة قيم ومبادئ وأصول لا تحكم بها لشخص إلا بمثل هذه المواقف..

واستشهد على.. فبايع الحسن ابنه الذي رآه الأنسب للخلافة بعد على، ولكن الحسن لم يتحمل تلك الدماء التي يجدها تسيل كل يوم من خيرة البشر من أجل حكم بشرى زائل، فآثر السلامة وأوقف القتال وفاوض معاوية وبايعه..

ويصدم قيس بعض الشيء من موقف الحسن، وقد كان على رأس جيش من خمسة آلاف مقاتل حلقوا رؤوسهم حداداً على موت على..

لكن شجاعة الحق تتجلى مرة أخرى..

لا انفراد برأي.. ولتحكم الشورى الموقف فخير جنوده بين الاستمرار في القتال أو وقفه.. فاختاروا ما اختار الحسن فنزل على رأيهم..

وفي المدينة المنوّرة، عام تسع وخمسين، مات الداهية الذي روّض الإسلام دهاءه..

مات الرجل الذي كان يقول:

لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"المكر والخديعة في النار، لكنت من أمكر هذه الأمة"..

openkanal.com

تحليل ودروس

١- مجالسة الصغار للكبار ينمى فيهم الرجولة ويكسبهم خبرات اجتماعية مطلوبة

أحد عيوب التربية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، هو تجنيب الصغار لمجالس الكبار، بل اعتبار ذلك عيباً،وهو أمر يجعل الصغير فاقداً للجرأة المطلوبة عند مواجهة الكبار كما أنه يفقده الكثير من الخبرات الاجتماعية التي كان يستطيع تعلمها لو أتيحت له فرصة الجلوس في مجالسهم، كما سينمو عقله بسرعة أكبر مما لو لم يسمح له بذلك، وكان لجلوس سعد بن عبادة في هذه المجالس أثره الكبير في شخصيته فلقد أصبح على دراية بشخصيات مرموقة في بلاده واكتسب خبرة التعامل معهم وتفاعل هذا مع مواهبه فأصبح شخصية قيادية تثير الإعجاب والفخر.

٢- الكرم يعلم الإيثار ويورث العزة ويجلب الحب

إحدى العادات الحميدة التي تميز بها العرب في المجتمع الجاهلي، وهى عادة تميز بها الفقير والغنى، فالكرم ليس حكراً على الأغنياء فقط كما يظن البعض، فالعديد من الفقراء في حياتنا نجدهم كرماء، يستقبلون ضيفهم ببسمة مشرقة ويقدمون لهم ما كان في مقدورهم، وهى عادة تعلم الإيثار وتورث العزة في النفس وتجلب المحبة لصاحبها، وهى صفة ندرت في مجتمعاتنا رغم الفارق الرهيب في الإمكانات المادية بين عصرنا وبين العصر الجاهلي.

٣- الإسلام لا ينمى المواهب والقدرات فقط ولكنه يهذبها ويوجهها إلى الاتجاه الصحيح

لم يخلق الله إنساناً إلا ولديه موهبة أو قدرة أعطاها الله له ليسخرها في خدمة الناس وإرضاء الله، ولكن الكثير منا يسيء استخدام قدراته مثل القوة أو القيادة أو الذكاء أو اللباقة في الحديث أو موهبة كالغناء أو التمثيل، فيوجهها توجيهاً شخصياً هدفه حصد المكاسب المادية وجلب الشهرة لنفسه دون اعتبار لقيم أو دين، أو لغرض إثبات الوجود بين الأصدقاء دون تحر للحلال والحرام.إن الإسلام يعلم المسلم التقوى، فينمى الخوف من الله، فإذا استغل قدراته أو مواهبه فكر ملياً قبل استخدامها أهي موجهة لإرضاء الله أم لمعصيته، هكذا تستثمر المواهب في بناء الأمم ورقى الإنسان ونهضة المجتمع. واستغلال الهواية بصورة لا تعرف إلا المصلحة الشخصية طريقة تدمر المجتمع وتجلب الفساد وتصيبه بالتخلف.

٤- ليست الشجاعة فقط أن تواجه غيرك ولكن الشجاعة أيضاً أن تواجه نفسك

مواجهة النفس بأخطائها ومحاولة تقويمها أمر في غاية الصعوبة ويحتاج إلى تدريب يومي مستمر لكبح جماحها والتعامل مع نزواتها، وربما يكون الشخص شجاعاً ويعرف بجرأته في المواقف الصعبة وتحدى الأقوياء ولكنه أضعف الضعفاء مع نفسه لا يستطيع إلا الإصغاء لها

والاستسلام لأوامرها، وقيس بن سعد جمع بين الشجاعتين، ولولا شجاعته مع نفسه لأقدم على حيل شتى كفيلة أن تكسبه الحرب مع معاوية،ولكن تقواه وخوفه من الله جعلته يتراجع ويستغفر الله لأنه يعلم أنها حيل غير شرعية تغضب الله. لقد أغرته نفسه بالانتصار والزهو أمام نفسه والآخرين،ولكن صرامته مع نفسه جعلته يكبح جماحها من أجل مرضاة الله.. الله وحده.

*****

obeikandl.com